تصوير الليل في شعر البهاء زهير

د. سري الشريف
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
ورئيس قسم اللغة العربية
بكلية التربية بالوادي الجديد
جامعة أسيوط

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار آيتين، والصلاة والسلام على نبي الثقلين، وبعد...

فلقد خلق الله تعالى الليل والنهار وسخرهما لخدمة الكون كله، قال تعالى :[وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار] (إبراهيم٣٣).

والإنسان بفطرته لا يستغني عن الليل والنهار، فإذا كانت حياته كلها ليلاً ما استطاع ذلك، وإذا كان العكس أيضاً ما قبله ولا تحمله، والله تعالى يعلم ذلك، فجعل برحمته الليل والنهار متلازمين لخدمة الكون كله، قال تعالى:[قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون] (القصص٧١، ٧٢).

وإذا تأملنا سمات الليل والنهار، نجد أنهما يتسمان بسمات كثيرة متضادة، فإذا كان النهار للعمل والجد والسعي، فإن الليل للنوم والراحة والاستقرار، وإذا كان النهار للضجيج والضوضاء والغوغاء[١]، فإن الليل للسكون والهدوء، وإذا كان النهار مضيئاً منيراً مبصراً، فإن الليل مظلم معتم ، وإذا كان النهار يكشف ويفضح، فإن الليل يخفي ويستر، وإذا كان النهار للصيام فإن الليل للقيام، وإذا كان النهار يطول في الصيف ويقصر في الشتاء، فإن الليل يقصر في الصيف ويطول في الشتاء، وإذا كان النهار يتسم بالدفء في الشتاء والحرارة في الصيف، فإن الليل يتسم بالبرودة في الشتاء

وبالنسيم العليل في الصيف، وإذا كانت الشمس تقترن بالنهار، فإن القمر والنجوم يقترنان بالليل، وهكذا فثمة الكثير من السمات المتقابلة بينهما، التي تجعل الكون كله لا يمكنه الاستغناء عن أيهما، ومن ثمَّ فإن لليل والنهار منافع كثيرة وآثاراً قوية على سائر الكون .

ولقد كان لليل مكانة سامية في الإسلام، فنجد القرآن الكريم يصور الليل في أبلغ تصوير، ونجد السنة النبوية الشريفة، تهتم بمكانته ومنزلته ، كما كان لليل مكانة عظيمة عند الشعراء العرب، حيث إننا إذا نظرنا إلى أشعارهم نجد أن معظمهم قاموا بتصوير الليل في أشعارهم في أروع تصوير.

والشاعر الذي بين أيدينا البهاء زهير(موضوع البحث)، لا يقل عن الشعراء روعة في تصويره لليل من خلال شعره، ولعل هذا ما استوقفني ودفعني إلى أن أقوم بالبحث والدراسة في هذا الموضوع، فعقدت العزم- بعد التوكل على الله- على أن أجري بحثاً في هذا الموضوع جعلته بعنوان: (تصوير الليل في شعر البهاء زهير).

ومن ثمَّ أخذت أطلع على ديوان شعره، ثم أتوقف عند تصويراته لليل، كي أقوم بدراستها وتحليلها، وبعد اطلاعي على شعره، وجدت أن البهاء جاء بتصويرات بلاغية جميلة لليل تستحق التوقف و الدراسة، كما أنه تأثر في تصويره لليل بمؤثرين مهمين، أولهما : التصوير الإسلامي لليل المتمثل في القرآن الكريم والحديث الشريف، وثانيهما: تصوير الشعراء السابقين له لليل، حيث إن كثيراً من الشعراء السابقين له قد صوروا الليل في أشعارهم، وأثروا بدورهم على تصوير البهاء زهير لليل في شعره، ولقد كانت للبهاء زهير رؤى فنية في الليل، ظهرت من خلال تصويره لليل في شعره، سوف تبينها الدراسة، من خلال منهج الدراسة التحليلية الذي أسلكه في هذا البحث.

ولكي تكون خطة البحث شاملة لكل عناصر البحث ومحتواه، فإن ذلك يحتم عليَّ أن أبدأ بتمهيد يدور حول التعريف بالليل وبيان سماته ومكانته عند العرب، ثم أنتقل إلى مباحث البحث التي تشتمل على ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: أهم المؤثرات المؤثرة على الشاعر في تصويره لليل.

المبحث الثاني: رؤى الشاعر الفنية في الليل من خلال شعره.

المبحث الثالث: الصور البلاغية لليل في شعر البهاء.

والله تعالى أسأل أن يوفقني لما فيه الخير والصواب، وأن يتجاوز عن أخطائي وتقصيري وعيوبي، فإنه القادر على ذلك وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

قبل أن ندرس تصوير الليل في شعر البهاء زهير، يجب علينا أن نتعرف على الليل وأوقاته وسماته وألفاظه ومصطلحاته عند العرب، فلليل مكانة كبيرة عند العرب، لأهميته في حياتهم، ولعل ذلك أثر بدوره في تصوير البهاء لليل في شعره.

التعريف بالليل:

الليل عقب النهار ومبدؤه من غروب الشمس، والليل ضد النهار، والليل ظلام الليل، والنهار الضياء، فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة ويوم، وتصغير ليلة لُيَيْلَيَّة"[٢].

والنهار اسم للضياء المتفسح الزاهر لحصول الشمس بحيث ترى عينها أو معظم ضوئها، وهذا حد النهار، ولا يقال للغلس والسحر نهار حتى يستضئ الجو"[٣].

" والليل اسم لكل ليلة، لا يقال: نهار ونهاران، ولا ليل وليلان، إنما النهار يوم وتثنيته يومان، وجمعه أيام، وضد اليوم ليلة، وجمعها ليالٍ، وكان الواحد ليلاه في الأصل يدل على ذلك جمعهم إياها الليالي، وتصغيرهم إياها لُيَيْلَيَّة"[٤]، ويقال : ليلة ليلاء وليلى : أي شديدة صعبة، وقيل هي أشد ليالي الشهر ظلمة، وبه سميت المرأة ليلى، وقيل الليلاء: ليلة ثلاثين[٥].

أوقاته:

إذا نظرنا إلى الليل من بدايته إلى نهايته، نجده يتضمن أوقاتاً متنوعة، منها الشفق والغسق والسحر والغلس.

أما الشفق فهو آخر النهار وبداية الليل، قيل إن الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل، تُرى في المغرب إلى صلاة العشاء[٦]، قال تعالى : [فلا أقسم بالشفق] (الانشقاق١٦).

وأما الغسق فهو الوقت الذي يلي الشفق، وهو أول ظلمة الليل، قال تعالى : [أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل] (الإسراء٧٨)، أي أقم الصلاة ما بين ميل الشمس للغروب وإقبال الليل وظلامه[٧]، قيل: غسق الليل: أول ظلمته، وقيل: غسقه: إذا غاب الشفق، وقال الفراء في قوله (غسق الليل) هو أول ظلمته، وقال الأخفش: غسق الليل: ظلمته[٨].

وأما السحر فهو آخر الليل الذي يكون قبيل الصبح، وجمع سحر أسحار، وقيل السحر: هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر[٩] ، قال تعالى : [والمستغفرين بالأسحار] (آل عمران)،وقال تعالى:[وبالأسحار هم يستغفرون] (الذاريات١٨).

وأما الغلس فهو ظلام آخر الليل، روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال :" كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الصبح بغلس"[١٠].

وقال الأخطل:

كذبتْك عينك أم رأيت بواسط[١١] غلس الظلام من الرباب خيالا[١٢]

قيل : إن الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح[١٣] .

مصطلحاته:

لقد كان لليل مكانة سامية عند العرب، فاهتموا به في حياتهم، ووصفوه في نثرهم وشعرهم، وتناولوه في حديثهم وأمثالهم، ووضعوا له ألفاظاً ومصطلحات خاصة به في أقوالهم، وسوف أتناول مكانة الليل عند العرب من حيث ما وضعوه له من ألفاظ ومصطلحات متنوعة تتمثل في الآتي:

١- مصطلحات خاصة بمسميات الليالي الشهرية:

استطاع العرب أن يطلقوا على كثير من الليالي الشهرية بعض الألفاظ المصطلحات التي منها :"(سرار الشهر) و (سراره): وهو آخر ليلة منه لاستسرار القمر فيه، وربما

استسر ليلتين. ومنها (البراء): وهو آخر ليلة من الشهر، سميت بذلك لتبرؤ القمر فيها من الشمس. ومنها (المحاق): وهو ثلاث ليال من آخر الشهر، سميت بذلك لإمحاق القمر فيها أو الشهر. ومنها(النحيرة) : وهو آخر يوم من الشهر لأنه ينحر الذي يدخل فيه، أي يصير في نحره. ومنها (الهلال): وهو أول ليلة والثانية والثالثة، ثم هو قمر بعد ذلك إلى آخر الشهر. ومنها (ليلة السواء): وهي ليلة ثلاث عشرة. ومنها (ليلة البدر): وهي ليلة أربع عشرة، وسُمي بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع كأنه يعجلها المغيب، ويقال: سُمي بدراً لتمامه وامتلائه، وكل شئ تم فهو بدر"[١٤].

ولقد كانت العرب" تسمي ليالي الشهر كل ثلاث منها باسم، فتقول:(ثلاث غرر)[١٥] ، جمع غرة، وغرة كل شئ أوله. و(ثلاث نفل)[١٦]. و(ثلاث عُشَر)، لأن أول يوم منها اليوم العاشر. و(ثلاث بيض)، لأنها تبيَّض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها. و (ثلاث دُرَع)، وكان القياس دُرْع، سُميت بذلك لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها، ومنه قيل: شاة درعاء، إذا اسودَّ رأسها وعنقها وابيضَّ سائرها. و(ثلاث ظُلَم)، لإظلامها. و(ثلاث حنادس)، لسوادها. و (ثلاث دآدي)، لأنها بقايا. و(ثلاث مُحاق)، لانمحاق القمر أو الشهر، وسُمي القمر قمراً لبياضه، والأقمر: الأبيض"[١٧].

٢- مصطلحات خاصة بطول الليل وسهره وهمومه:

ثمة ألفاظ ومصطلحات خاصة بطول الليل وسهره وما يحتويه من هموم وفكر، منها " ليلة من غصص الصدر، نقم الدهر، ليلة هموم وغموم كما شاء الحسود وساء الودود، ليلة قُص جناحها وضل صباحها، ليل ثابت الأطناب، طامي الغوارب، طامح الأمواج، وافي الذوائب، ليال ليس لها أسحار، وظلمات لا تتخللها أنوار"[١٨].

٣- مصطلحات خاصة بالليالي الجميلة السعيدة:

من ألفاظ العرب ومصطلحاتهم في الليلة السعيدة الجميلة قولهم :

" ليلة من حسنات الدهر، هواؤها صحيح، ونسيمها عليل، ليلة كبُرْد الشباب وبَرْد الشراب، ليلة من ليالي الشباب، فضية الأديم، مسكية النسيم، ليلة هي لُمْعة العمر وغرة الدهر، ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم، ليلة رقد الدهرعنها وطلعت سعودها،

وغابت عذالها، ليلة كالمسك منظرها ومخبرها، ليلة هي باكورة العمر وبكر الدهر، ليلة ظلماتها أنوار، وطوال أوقاتها قصار"[١٩]، ليلة قمراء: أي مضيئة جميلة[٢٠].

٤- مصطلحات خاصة بإقبال الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب:

من أقوال العرب الخاصة بإقبال الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب قولهم : " أقبلت عساكر الليل، وخفقت رايات الظلام، وقد أرخى علينا الليل سدوله، وسحب الظلام فينا ذيوله، توقَّد الشفق في ثوب الغسق، أقبلت وفود النجوم، وجاءت مواكب الكواكب، تفتحت أزاهير النجوم، وتوردت حدائق الجو، وأذكى الفلك مصابيحه، قد طفت النجوم في بحر الدجى، ولبس الظلام جلباباً من القار، ليلة كغراب الشباب، وحدق الحسان، وذوائب العذارى، ليلة كأنها في لُباس بني العباس[٢١]، ليلة في لباس الثكالى، وكأنها من الغبش في مواكب الحبش، ليلة قد حلك إهابها فكأن البحر يهابها"[٢٢].

وقال أعرابي في وصفه لليل مظلم:" خرجت حين انحدرت النجوم، وشالت أرجلها، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر"[٢٣].

٥ -مصطلحات خاصة بانتصاف الليل وانتشار النور وأفول النجوم:

للعرب أقوال في انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأُفول النجوم مثل قولهم :" قد اكتمل الظلام، قد انتصفنا عمر الليل، واستغرقنا شبابه، قد شاب رأس الليل، كاد ينمُّ النسيم بالسَّحر، قد انكشف غطاء الليل، انهتك ستر الدجى، وشمطت ذوائبه، وتقوَّس ظهره، وتهدَّم عمره، قُوِّضت خيام الليل، وخلع الأُفق ثوب الدجى، أعرض الظلام وتولَّى، وتدلَّى عنقود الثريا، طرز عنقود الليل بغُرَّة الصبح، وباح الصبح بسره، خلع الليل ثيابه، وحدر الصبح نقابه، لاحت تباشير الصبح، وافترَّ الفجر عن نواجذه، وضرب النور في الدجى بعموده، بث الصبح طلائعه، تبرقع الليل بغرة الصبح، أطار بازي الصبح غراب الليل، وعزلت نوافج الليل بجامات الكافور، وانهزم جند الظلام عند عسكر النور، خلعنا خلعة الظلام، ولبسنا رداء الصباح، وملأ الآذان بـرق الصباح ، وسطع الضوء، وطلع النور، وأشرقت الدنيا، وأضاءت الآفاق، مالت

الجوزاء للغروب، وولَّت مواكب الكواكب، وتناثرت عقود النجوم، وفرَّت أسراب النجوم من حدق الأنام، ووهى نطاق الجوزاء، وانطفأ قنديل الثريا.

وقال بعض الأعراب : خرجنا في ليلة حندس قد ألقت على الأرض أكارعها فمحت صورة الأبدان، فما كنا نتعارف إلا بالآذان"[٢٤] .

٦ - ألفاظ ومصطلحات خاصة بأمثال العرب حول الليل:

لقد أثَّر الليل على كلام العرب وأحاديثهم وأمثالهم العربية، فإذا ما استعرضنا أمثال العرب، نجد لفظ (الليل) يتردد في الكثير منها، مثل قولهم :(أمر نهار قضى ليلاً)، وهذا مثل يُضرب لمن جاء القوم على غرة، فهم ممن لم يكونوا تأهبوا له، وقولهم (أمر سُرِي عليه بليل)، أي قد تقدم عليه وليس فجأة وهذا ضد الأول[٢٥]. وقولهم: (إن الليل طويل وأنت مقمر)، وهذا مثل يُضرب عند الأمر بالصبر والتأني في طلب الحاجة[٢٦].

وقولهم :(أهلك والليل)، أي اذكر أهلك وبعدهم عنك، واحذر الليل وظلمته، وهذا يُضرب في التحذير والأمر بالحزم[٢٧]. وقولهم :(أخو الظلماء أعشى بالليل)، وهذا يُضرب لمن يخطئ حجته ولا يبصر المخرج مما وقع فيه[٢٨] . وقالوا في سواد الليل وظلمته :(أخوك أم الليل)، أي المرئي أخوك أم هو سواد الليل، وهذا يُضرب عند الارتياب بالشئ في سواد وظلمة[٢٩]. وقالوا :(إذا تكلمت بليل فاخفض وإذا تكلمت نهاراً فانفض)، أي التفت هل ترى من تكرهه[٣٠]. وقولهم :(بات بليلة قنفد)، وهذا المثل يُضرب لمن سهر ليله أجمع[٣١]. وقولهم :(باتت بليلة حرة)، فالعرب كانت تسمي الليل تفترع فيها المرأة ليلة شيباء، وتسمي الليلة التي لا يقدر عليها الزوج فيها على افتضاضها ليلة حرة، فيقال : باتت فلانة بليلة حرة، إذا لم يغلبها الزوج، وباتت بليلة شيباء إذا غلبها فافتضها[٣٢]. وقولهم :(اتخذ الليل جملاً)، هذا المثل يُضرب لمن يعمل العمل بالليل من قراءة أو صلاة أو غيرهما مما يركب فيه الليل، وقال بعض الكتاب في رجل فات بمال وطوى المراحل : اتخذ الليل جملا، وفات بالمال كملاً، وعبر الوادي عجلاً[٣٣]. وقالوا: (أطفل من ليل على نهار)، لأن الليل يدخل على النهار بلا إذن[٣٤].

وقالوا : (اجعلوا ليلكم ليل قنفد)، ويُضرب هذا المثل في التحذير، لأن القنفد لا ينام ليله[٣٥] . وقالوا :(باتت وبات ليلها دبي دبي)، أي ليلها ليل شديد[٣٦]. وقالوا :(اختلط الليل بالتراب)، يُضرب هذا المثل في التخليط من أمرهم[٣٧]. وقالوا : (أخفى مما يخفى الليل)، لأن الليل يستر كل شئ، ولذلك قالوا في المثل الآخر :(الليل أخفى للويل)، و في مثل آخر:(الليل أخفى والنهار أفضح)[٣٨]. وقالوا : (أخبط من حاطب ليل)أو (أخبط من عشواء)، لأن الذي يحتطب ليلاً يجمع كل شئ مما يحتاج إليه ومما لا يحتاج إليه، فلا يدري ما يجمع، والعشواء هي الناقة التي لا تبصر بالليل، فهي تطأ كل شئ، ويقال في مثل آخر:(إن أخا الخلاط أعشى بالليل)، قالوا :الخلاط: القتال، وصاحب القتال بالليل لا يدري من يضرب[٣٩]. وأخيراً قالوا :(أظلم من الليل)، يراد به الظلمة، وإنما نسب إلى الظلم لأنه يستر السارق وغيره من أهل الريبة[٤٠].

وبالجملة فثمة الكثير من الأمثال العربية التي تتعلق بالليل، اهتم بها العرب فتناولوها في أحاديثهم وكلامهم للدلالة على أهمية الليل ومكانته عندهم.

سماته:

يتصف الليل بصفات خاصة تميزه عن النهار، وإذا ما قورنت صفات الليل بصفات النهار، نجد أن صفات كل منهما بالنسبة للآخر صفات متقابلة متضادة، وإذا تأملنا صفات الليل نجد أنها تنحصر في عشر صفات هي:

١ – السكون والهدوء والراحة والنوم والاستقرار، قال تعالى: [وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشورا] (الفرقان٤٧).

" أي يلبس الوجود ويغشاه، (والنوم سباتاً)، أي قاطعاً للحركة لراحة الأبدان، فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة في الانتشار في المعاش، فإذا جاء الليل وسكنت الحركات واستراحت، فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معاً"[٤١].

ولسكون الليل أوصت السنة النبوية الشريفة بآداب دخول المنزل ليلاً، فيما رواه جابر بن عبد الله قال :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قدم أحدكم ليلاً فلا يأتين أهله طروقاً حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة"، قال النووي :" الطروق بضم الطاء

هو الإتيان في الليل، وكل آت في الليل فهو طارق، ومعنى (تستحد المغيبة)، أي تزيل شعر عانتها، والمغيبة التي غاب زوجها، والاستحداد: استفعال من استعمال الحديدة وهي الموس، والمراد إزالته كيف كان، ومعنى ذلك أنه يكره لمن طال سفره أن يقدم على امرأته ليلاً بغتة، فأما من كان سفره قريباً تتوقع امرأته إتيانه ليلاً فلا بأس[٤٢].

٢ – الستر والخفاء، قال تعالى: [ومن جهر به وهو مستخف بالليل وسارب بالنهار] (الرعد١٠)، جُعل الليل للستر والخفاء، وجُعل النهار للظهور والوضوح، ولقد كان العرب– كما ذكرت سلفاً– يشيرون في أقوالهم وأمثالهم إلى ذلك، كقولهم : (اختلط الليل بالتراب)، وقولهم : (أخفى مما يخفى الليل) ، لأن الليل يستر كل شئ، وقولهم : (الليل أخفى للويل)، و قولهم : (الليل أخفى والنهار أفضح)، وقولهم : (أخبط من حاطب ليل).

٣ – الظلام الدامس والعتمة الموحشة، قال تعالى: [ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً] (النمل٨٦)، تصوير بليغ لليل بالسكن المظلم الذي يسكن فيه الناس، وتصوير للنهار بالإنسان المبصر، وجُعل الليل غير مبصر (أعمى)، لما يحتويه الليل من ظلام دامس، ولهذه الصفة أوصى الإسلام على حرص الإنسان أثناء السير ليلاً، فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إذا عرستم فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل"[٤٣]، قال النووي :" قال أهل اللغة : التعريس : النزول في آخر الليل لليل والراحة، وهذا أدب من آداب السير والنزول، أرشد إليه صلى الله عليه وسلم، لأن الحشرات ودواب الأرض من ذوات السموم، والسباع تمشي في الليل على الطرق لسهولتها، ولأنها تلتقط منها ما يسقط من مأكول ونحوه، وما تجد فيها من رمة ونحوه، فإذا عرس الإنسان في الطريق ربما مر به منها ما يؤذيه ، فينبغي أن يتباعد عن الطريق"[٤٤].

٤ – البرودة والطول في الشتاء، والعكس في الصيف، ولاتصاف الليل بالبرد القارس والريح الشديد والظلام الدامس، نجد السنة النبوية تحرص على عدم خروج الإنسان للصلاة إذا كان الليل مظلماً بارداً ذا ريح شديدة، "روي عن ابن عمر رضي الله عنهما

أنه أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح ثم قال : ألا صلوا في الرحال، ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر المؤذن إذا كانت ليلة ذات برد ومطر يقول : ألا صلوا في الرحال"[٤٥].

٥ – يساعد بظلامه على لمعان البرق وضياء النار، روى الجاحظ: " أن رجلا أُلقي في ماء راكد في شتاء بارد، في ليلة من الحنادس لا قمر ولا ساهور، وإنما ذكر ذلك لأن ليلة العشر والبدر والطوق الذي يستدير حول القمر يكون كاسداً من برد تلك الليلة، قالوا: فما زال الرجل حياً، وهو في ذلك بارد جامد، ما دام ينظر إلى نار كانت تجاه وجهه في القرية أو مصباح، فلما أطفئت انتفض وقال الشاعر:

ونار قبيل الصبح بادرت قدحها خبا النار قد أوقدتها للمسافر

يقول: بادرت الليل، لأن النار لا تُرى بالنهار، كأنه كان خليعاً أو مطلوباً"[٤٦].

٦ – يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقمر والنجوم، فإن ضوء القمر ولمعان النجوم، لا يظهران إلا في ظلام الليل، حيث إن النجوم تساعد الإنسان كثيراً في معرفة الطرق أثناء ظلام الليل الدامس، قال تعالى: [وعلامات وبالنجم هم يهتدون] (النحل١٦).

٧ – يعد وسيلة للسمر والطرب والغناء واللهو، فثمة كثير من الناس من يجعلون ليلهم للسمر واللهو وشرب الخمر وسماع الأغاني وما شابه ذلك

٨ – يعد وسيلة للسهر والهم والتفكير ، حيث إن المرء لا يزداد همه إلاّ في الليل، وإذا ما انشغل الإنسان بشئ ما، فإن تفكيره في هذا الشئ لا يحلو إلاّ في الليل، وكأن الليل زمان المهموم دون النهار.

٩ – يعد وسيلة للعبادة والصلاة والقيام والذكر والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن، لاسيما وقت السحر، قال تعالى :[كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون] (الذاريات ١٧، ١٨)، وثمة كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي توضح مكانة الليل في العبادة، "روي عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه بات عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل، فخرج فنظر في السماء ثم تلا هذه الآية في سورة آل عمران[إن في خلق السماوات والأرض

واختلاف الليل والنهار..]حتى بلغ [فقنا عذاب النار] (آل عمران١٩٠ ،١٩١)، ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم قام فخرج فنظر إلى السماء، فتلا هذه الآية، ثم رجع فتسوك فتوضأ، ثم قام فصلى"[٤٧].

وروي عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :" إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة"[٤٨].

١٠ – يعد وسيلة للسرقة والقتل والزنا، فإذا كان المتقون يتخذون الليل وسيلة للعبادة ، فإن الفاسقين العاصين يتخذون الليل وسيلة للفسق وارتكاب المعاصي لما فيه من ستر وخفاء ، وما جاء في قصة المثل العربي(سرْعنك)[٤٩]، يوضح ذلك.

" قيل فيها : إن خداش بن حابس التميمي كان قد تزوج من جارية من بني سدوس يقال لها الرباب، وغاب عنها من بعد ما ملكها أعواماً، فعلقها آخر من قومها يقال له سلم ففضحها، وإن سلماً شردت له إبل فركب في طلبها، فوفاه خداش في الطريق، فلما علم به خداش كتمه أمر نفسه ليعلم علم امرأته، فسأل سلم خداشاً ممن الرجل؟ فخبره بغير نسبه فقال سلم :

أغبت عن الرباب وهام سلم ... بها ولها بعرسك يا خداش
فيا لك بعل جارية هواها ... صبور حين تضطرب الكباش
ويا لك بعل جارية كعوب ... تزيد لذاذة دون الرياش
وكنت بها أخا عطش شديد ... وقد يروى على الظمأ العطاش
فإن أرجع ويأتيها خداش ... سيخبره بما لاقى الفراش

فعرف خداش الأمر عند ذلك، ثم دنا منه وقال: حدثنا يا أخا بني سدوس، فقال سلم : علقت امرأة غاب عنها زوجها، فأنا أنعم أهل الدنيا بها، وهي لذة عيشي، فقال خداش: (سرْ عنك)، فسار ساعة ثم قال : حدثنا يا أخا بني سدوس عن خليلتك، قال : تسديت خباءها ليلاً فبت بأقر ليلة أعلو وأعلى وأعانق وأفعل ما أهوى، فقال خداش:(سرْعنك)

وعرف الفضيحة، فتأخر واخترط سيفه وغطاه بثوبه ثم لحقه وقال:ما آية ما بينكما إذا جئتها، قال: أذهب ليلاً إلى مكان كذا من خبائها وهي تخرج فتقول:

يا ليل هل من ساهر فيك طالب هوى خلة لا ينزحن ملتقاهما

فأجاوبها:

نعم ساهر قد كـــابد الليل هـــائم بهائمة مـــا هوَّمت ملتقاهمـــا

فتعرف أني أنا هو، ثم قال خداش: (سرعنك) ودنا حتى قرن ناقته بناقته وضربه بسيفه فأطار قحفه، وبقى سائره بين سرخي الرجل يضطرب، ثم انصرف فأتى المكان الذي وصفه سلم، فقعد فيه ليلاً وخرجت الرباب وهي تتكلم بذلك البيت، فجاوبها بالآخر، فدنت منه وهي ترى أنه سلم، فقنَّعها بالسيف ففلق ما بين المفرق إلى الزور ثم ركب وانطلق"[٥٠].

لعلنا نلحظ من خلال هذه القصة، كيف كان الليل وسيلة مساعدة على الفسق والمعاصي، استغلها العاصون لما فيه من سكون وستر وخفاء وظلام.

المبحث الأول: أهم المؤثرات المؤثرة على الشاعر[٥١] في تصويره لليل

لا شك أن البهاء زهير قد تأثر بمؤثرين مهمين في تصويره لليل من خلال شعره، هذان المؤثران يتمثلان في أثر التصوير الإسلامي لليل على الشاعر، وأثر الشعراء السابقين له في تصويرهم لليل على البهاء، وسوف أتناول كل مؤثر على حده.

أولاً- أثر التصوير الإسلامي لليل:

يتمثل التصوير الإسلامي لليل في تصوير القرآن الكريم لليل، ووصف السنة النبوية الشريفة لمكانة الليل السامية في العبادة، ولا شك أن للتصوير الإسلامي في الليل أثراً قوياً على الشعراء عامة، وعلى البهاء زهير خاصة، ، ولقد ظهر تأثر البهاء بالتصوير الإسلامي واضحاً، عند تصويره لليل بالعبادة والقيام والتهجد والدعاء والسكون وتداخله مع النهار كما صوره الإسلام، وسوف أستعرض بعض النماذج الشعرية التي توضح تأثر البهاء بالتصوير الإسلامي لليل.

منها قوله عندما سأله بعض المؤذنين عمل أبيات لينشدها في الأسحار:

ألاَ يأيُّهـا الـنـّائـم إنَّ الـلـيـلَ قـد أصْـبَـحْ
وهـذا الشَرْقُ قد أعْلَـن بالنـور وقـد صَـرَّحْ
ألـم يـُوقـظْـكَ مـَن ذكَّـر بـالـلـه وقـد سَـبَّحْ
فـمَـا بـَالُ دَوَاعـيـكَ إلى الـخـيـراتِ لا تـَجْـنَـحْ
إذا حـَـرَّكـك الذِّكْـرُ تـَثـَاقـلـتَ ولـم تـَبـْرَحْ
أضَعْـتَ العُـمرَ خُسـرانا فـبـاللـه مـتـى تـَرْبـَحْ
لـقـد أفـلَـحَ مـَن فـيه يقـولُ الـلـهُ قـد أفـْلـَحْ
ذا أصْـبَحْـتَ في عُسْـر فـلا تـَحْـزَنْ لـَه وافـرَحْ
فـبـعـدَ الـعُسْر يُسرٌ عـا جـل واقـرأ ألـم نـَشـرَحْ[٥٢]

لقد تأثر الشاعر في هذه الأبيات بالتصوير الإسلامي لليل في القرآن والسنة، حيث إنه تأثر بالأحاديث الشريفة التي ذُكرت سلفاً، فضلاً على ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت:" كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاته من الليل كلها وأنا معترضة بينه وبين القبلة، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت"[٥٣]. يشير هذا الحديث الشريف إلى مكانة الليل السامية في العبادة والقيام، وهذا ما تأثر به البهاء في شعره، كما تأثر في شعره بالألفاظ الإسلامية التي رددها في هذه الأبيات، كقوله (ذكر بالله- سبح- الذكر- تثاقلت- خسرانا- أفلح- عسر- يسر)، ولعل لفظ (تثاقلت)، تأثر واضح بقوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض] (التوبة٣٨)، وقوله(يقول الله قد أفلح)، تأثر واضح بقوله تعالى:[قد أفلح المؤمنون] (المؤمنون١)، وقوله (فبعد العسر يسر عاجل)، تأثر واضح بسورة الشرح في قوله تعالى :[فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا] (الشرح٥ ،٦).

ومنها قوله:

صَبَرْتَ إلى أنْ أنزلَ اللهُ نَصرَهُ لذلكَ قد أحمَدتَ عاقِبَةَ الصبرِ
ولـَيْلةِ غـَزْوٍ للـعـدوِّ كـأنَّهـا بكثرَة مـن أرْدَيْتَهُ ليلةُ النَّحـرِ
فـيا ليلةً قـد شـَرَّفَ اللهُ قدرَهَا ولا غرْوَ إن سميتُها ليلةَ القدرِ[٥٤]

لقد صور ليلة الانتصار المباركة بتصوير إسلامي، حيث شبهها بليلة النحر في كرامتها ومنزلتها وهي ليلة عيد الأضحى المبارك، ثم صورها بليلة القدر في شرفها، ولعله في ذلك تأثر بالسنة النبوية، التي صورت منزلة ليلة القدر، كما أشار إلى ذلك الإمام الغزالي في قوله: " اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الإحياء في السنة خمس عشرة ليلة، لا ينبغي أن يغفل المريد عنها، فإنها مواسم الخيرات ومظان التجارب، ومتى غفل التاجر عن المواسم لا يربح، ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح، منها ليلة العيدين، قال صلى الله عليه وسلم: من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب"[٥٥].

ومنها قوله :

تَعَزَّزَ بعضُ الناسِ فازْدادَ بهْجةً ... وزادَ فُـؤادي من تبَاعـُدِهِ وَحْـشَـا
لـذاكَ تَرَى في وَجْنَتَيْهِ مُسَـطَّراً ... إذا كُـوِّرَتْ الشمـسُ والليلُ إذ يَغشَى[٥٦]

تأثر في هذين البيتين بالتصوير الإسلامي المتمثل في قوله تعالى:[إذا الشمس كورت] (التكوير ١)، وقوله تعالى:[والليل إذا يغشى](الليل ١).

ومنها قوله :

وافاكَ شهرُ الصوم يا مَن قدرُهُ ... فـينا كـليلـةِ قـدرِهِ لـن يُجـْحَـدَا
وَبَقـيتَ حَـياً ألـفَ عامٍ مـثلَـهُ ... مُـتـَضَـاعـِفـا لك أجرُهُ مُتَعدِّدَا
والدهرُ عندك كـلُّه رمضانُ يا ... مـن لـيس يَبرَحُ صـائما مُتَهجّـِدا[٥٧]

أشار في هذه الأبيات- متأثراً بالتصوير الإسلامي- إلى مكانة الليالي في قيام رمضان وتهجده،" فثمة ستة من الليالي الفاضلة المباركة في شهر رمضان: خمسة في أوتار العشر الأخير، إذ فيها يطلب ليلة القدر، وليلة سبع عشرة من رمضان، فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، فيه كانت وقعة بدر"[٥٨].

ومنها قوله :

وَتلاوةٌ يَجـلُو الدُّجَى أنـوارُهـا ... قـد زانَهـا الـترتيبُ والـترتيـلُ
وإذا تهجَّد في الظلام فـحَسْبُـهُ ... مـن نور غرة وَجْهِـهِ قـنديـلُ[٥٩]

تأثر بالتصوير الإسلامي لليل، فأشار في هذين البيتين إلى منزلة الليل ومكانته في العبادة، وقراءة القرآن في الليل التي تنير ظلام الليل، كما أشار إلى تهجد الممدوح في ظلام الليل، فإن ذلك يجعل وجهه نوراً يضيئ له ظلام الليل، ولعلها تصويرات إسلامية لليل لبيان مكانة الليل في العبادة والتهجد وقراءة القرآن في سكونه.

ومنها قوله :

رَعَى اللهُ طَيفا منكُم بُات مُؤنِسي فما ضرَّهُ إذ باتَ لـو كـان يـُصْبِـحُ

ولـكِنْ أتى لـيلا وعـاد بـسُحرَةٍ دَرَى أنَّ ضَوْءَ الصبحِ إنْ لاحَ يَفضَحُ[٦٠]

صور في هذين البيتين أن الليل للستر والصبح للفضح، وفي ذلك التصوير مقابلة بديعية، تأثر فيها بالتصوير القرآني لليل، في قوله تعالى:[فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة] (الإسراء١٢)، وقوله تعالى:[والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس] (التكوير١٧، ١٨)، وقوله تعالى:[والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى] (الليل١، ٢) وقوله تعالى:[والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها] (الشمس ٣، ٤).

ومنها قوله في تصوير ليلة سعيدة:

حينَ أنتْ مَرَّت كلَمحٍ بالـبَـصر لَـيسَ لـهـا بـيـن الـنَّـهـارَيـن أثـر[٦١]

لقد صور سرعة مرور الليلة بسرعة لمح البصر متأثراً بقوله تعالى: [وما أمر الساعة إلا كلمح البصر] (النحل٧٧)، وفي قوله (لَـيسَ لـهـا بـيـن الـنَّـهـارَيـن أثـر)، أشار إلى تداخل الليل والنهار متأثراً بقوله تعالى: [تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل] (آل عمران٢٧).

وهكذا فإن البهاء زهير قد تأثر تأثراً قوياً بالتصوير الإسلامي لليل في شعره، من حيث التصوير القرآني لليل، ووصف السنة النبوية لمكانة الليل في العبادة والقيام. وما قدمته له من شعر في هذا المقام، ما هو إلا بمثابة نماذج توضح لنا أثر التصوير الإسلامي لليل على تصوير الليل في شعر البهاء زهير.

ثانياً- أثر تصوير الشعراء لليل:

ثمة كثير من الشعراء السابقين للبهاء قد صوروا الليل في أشعارهم، ولعل البهاء قد تأثر بمعظمهم، بيد أنني سوف أقتصر على بعض النماذج الشعرية التي توضح لنا تأثر الشاعر بمن سبقه في تصوير الليل.

إذا استعرضنا تأثر البهاء في تصويره لليل بالشعراء السابقين، نجد أن تأثره جاء في ثلاثة أنواع:

١ – تصوير الليل بالطول والقسوة والوحشة.

لقد اتفق كثير من الشعراء على تصوير الليل في أشعارهم بالطول والوحشة والقسوة، ولقد ردوا ذلك إما لكثرة الهموم والسهر المؤلم، وإما لكثرة التفكير الدائم، ومن ثم تأثر البهاء بهذه الصورة لليل، فراح يصوره في شعره بطول وقته وبطء مروره وشدة قسوته وألم سهره فنراه يقول :

وليـــلةٍ ما مـــثلُـــها قَـــطّ عُهِد ... مثلَ حشَى العاشقِ باتتْ تتّقد
طـــلبتُ فيها مؤنساً فلم أجِد ... بِـــتُ أُقـــاسيها وَحـــيداً مُنْفَرِد
طالتْ فأمَّا صُبْحُها فَقَد فُقِدْ ... فَتَحْـــبَـــلُ المرأةُ فـــيها وتـــلِد[٦٢]

إذا تأملنا تصوير الشاعر لليل بهذه الصورة، نجد أنه قد تأثر بالشعراء السابقين له في ذلك، فثمة كثير من الشعراء تفننوا في تصوير الليل بالطول والقسوة والوحشة والألم، قيل:" إن الوليد بن عبد الملك تشاجر ومسلمة أخوه في شعر امرئ القيس والنابغة في طول الليل أيهما أشعر؟ فقال الوليد: النابغة أشعر، وقال مسلمة: بل امرؤ القيس، فرضيا بالشعبي حكماً فأحضراه، فأنشد الوليد قول النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصـــب ... وليل أقاسيه بـــطـــئ الـــكواكـــب[٦٣]
تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذي يرعـــى الـــنجوم بآيـــب
وصدر أراح الليل عازب همه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب[٦٤]

إنه جعل صدره مأوى للهموم، وجعل الهموم كالنعم السارحة الغادية، تسرح نهاراً ثم تأتي إلى مكانها ليلاً، وهو أول من استثار هذا المعنى، ووصف أن الهموم مترادفة

بالليل لتقييد الألحاظ عما هي مطلقة فيه بالنهار واشتغالها بتصرف اللحظ عن استعمال الفكر، ثم يأتي مسلمة لينشد الوليد قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي[٦٥]

فقلت له لمَّا تمطى بجوزه ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فيا لك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شُدت بيذبل[٦٦]

فعندما سمع الوليد طرب لذلك طرباً، فقال الشعبي : بانت القضية"[٦٧].

لعل ذلك يوضح تأثر البهاء بمن سبقوه في تصويره لليل الطويل الموحش القاسي، وننتقل إلى تصوير آخر للبهاء في طول الليل وقسوته فنراه يقول:

يارَبِّ ما أقربَ منكَ الفَرَجَا ... أنتَ الرّجاءُ وإليك المُلتَجَا

يا رَبِّ أَشكو لك أمراً مُزْعِجاً ... أبهَمَ ليلُ الخَطبِ فيه ودَجَا[٦٨]

إنه صور الليل وظلامه الدامس بالكرب الشديد والهم الكبير والغم المؤلم، الذي يسأل الله تعالى فيه المخرج والفرج.

ومن صوره لليل الطويل الموحش قوله:

حَدِّثُوا عن طُول ليل بِتُّهُ ... هل رأيتم هل سمعتم هل عُهِد

لا رَعاهُ اللهُ ما أطوَلَه ... تَحْبَلُ المرأةُ فيه وتَلِد

ليسَ ما أشكوهُ منهُ واحِدا ... كُلّ شئٍ مرَّ بي فيه نَكِد[٦٩]

إنه يدعو على هذا الليل بالهلاك والزوال لما فيه من قسوة وألم.

ومن صوره لليل القاسي قوله:

أَينَ مَوْلايَ يَرانِي ... ودُمُوعِي فَوْق خَدِّيُ

أَقْطَعُ اللَيلَ أُقاسِي ... مَا أُقاسِي فيهِ وَحدي[٧٠]

في هذا التصوير لعلنا نحس بآلام الشاعر، فلا أنيس يعينه على قسوة هذا الليل غير دموعه المنهمرة.

وفي تصوير آخر لليل الطويل، استغل البهاء سمة من سمات الليل، وهي صفة الطول والبرودة التي يتصف بها ليل الشتاء، فوصف بها جليسا مملا في كلامه وأفعاله وأقواله، وبذلك جعل الليل في هذا التصوير مشبها به فنراه يقول:

وَجَلِيسٍ حَدِيثُهُ لِلْمَسَرَّاتِ طَارِدُ
مِثْلِ لَيلِ الشِّتَاءِ فَهْوَ طَوِيلٌ وَ بَارِدُ[٧١]

إنه شبه الجليس الممل في جلسته وكلامه الثقيل بليل الشتاء الطويل البارد، فكلاهما متشابه في وجه الشبه، من حيث الثقل والبرودة والإطالة.

و من صوره لليل الطويل المؤلم قوله:

ولَيلَةٍ قَد بِتُّهَا لَم أدرِ فيهَا مَا السِّنَهْ
سَيِّئَةٌ مَا تَرَكَتْ لِلدَّهرِ عِندي حَسَنَهْ
طَالَتْ فكَمْ قَد دارَفِيـ ـها مِن فُصول الأزْمِنَهْ
قَدَّرْتُهَا اليوم الذي مِقدارُهُ أَلْفُ سَنَهْ[٧٢]

صور في البيت الأول طول هذه الليلة وقسوتها تصويراً فيه ألم وتشاؤم ويأس، حيث إنه لم يعرف طعم النوم ولا مجرد السِّنة والغفلة، وهي ليلة كلها آلام وأحزان وهموم.

وإذا كان الشعراء السابقون للبهاء يكرهون الليل المؤلم، ويفضلون الصبح عليه، من خلال تصويرهم لليل القاسي ، كقول الطرماح بن حكيم:

ألا أيها الليل الطويل ألا ارتح بصبح وما الإصباح منك بأروح
بلى إن للعينين في الصبح راحة بطرحهما طرفيهما كل مطرح[٧٣]

وقول إسحاق الموصلي:

إنّ في الصبح راحة لمحب ومع الليل ناشئات الهموم[٧٤]

وقول طاهر بن علي سليمان:

إذا لاح لي صبح فهمِّي مقسَّم وفي الليل همِّي بالتفرد أطول[٧٥]

فإن البهاء زهير يتأثر بهؤلاء الشعراء وغيرهم، فيكره الليل الطويل القاسي المؤلم – من خلال تصويره الشعري– الذي يعاني فيه من سهره وآلامه، ومن فرط كراهيته له جعله دعوة مهلكة يدعو بها على كل عدو يكرهه، ويتمناه لكل من لا يحبه، فنراه يقول:

يـا أيُّهـَا الـسّـائـلُ عـنِّـــي لا تَـسَلْ عَـمَّن هَلَـكْ
بِـــتُّ بـلـيـــلٍ بَـاتَـــهُ كـلُّ عَـــدُوٍّ لـي هَـلَـكْ[٧٦]

إنه يدعو على عدوه بالمبيت الذي باته في هذا الليل المؤلم الموحش القاسي، ليصور لنا كراهيته الشديدة لهذا الليل.

ومن تصويراته المتأثرة بالسابقين، والمعبرة عن كراهيته لليل الطويل الموحش قوله:

وإنِّي لَتَعرُوني مَعَ اللَّيْلِ لَوْعَةٌ فُؤاديَ منها في لَظى وَوَطيسِ
تَـلُوحُ نجُومٌ لا أراهَا أحِـبَّتي وَيَـطـلُعُ بَـدْرٌ لا أراهُ أنِيســي

لقد صور هذا الليل القاسي المؤلم بالعدو الذي يكرهه، فكل ما فيه عدو لا يحبه، النجوم فيه أعداء له يصورها بقوله(لا أراها أحبتي)، والبدر فيه ثقيل ممل، لا يؤنسه ولا يسليه، فصوره بقوله(لا أراه أنيسي)، فلا يبهجه منظره ولا يسرُّه. فإننا نلحظ البهاء من خلال هذا التصوير، يكره مظاهر الليل المؤلم، من نجوم وقمر وغيرها.

ولعل البهاء يكون قد تأثر في ذلك بمشاعر الشعراء السابقين له وأحاسيسهم، فثمة كثير من الشعراء السابقين للبهاء، كانوا يرون مظاهر الليل الطويل في صورة معتمة سوداء، فلا يبهجهم منظر القمر الجميل، ولا الكواكب والنجوم الساطعة، ومن ثم أخذوا يصورون أحاسيسهم إزاء مظاهر الليل الطويل المؤلم بالضيق والملل والتشاؤم، فنرى ابن الرومي يصور طول الليل وبغض مظاهره بقوله:

رُبَّ ليلٍ كأنه الدهر طـــــولا قـد تناهى فليس فـيه مـــزيد
ذي نجوم كأنهن نجوم الشيـــب ليست تزول لكن تزيد[٧٧]

إنه يشكو من طول هذا الليل الذي يراه وكأنه دهر طويل، ثم يدفعه هذا الليل إلى أن يبغض كل ما فيه، فينظر إلى مظاهره بنظرة شؤم ويأس، ومن ثم يرى النجوم رمزاً للشيب الذي ينفر منه كل إنسان، ويتمنى زوالها كراهية لها.

ونرى أيضاً جريراً يصور مشاعره إزاء الليل الطويل ومظاهره بقوله:

أَبُدّلَ الليلُ لا تسري كواكبه أم طال حتى حسبتُ النجمَ حيرانا[٧٨]

إنه يتمنى سريان الكواكب وزوالها حتى ينقضي هذا الليل الطويل، فلا يريد رؤية هذه النجوم التي لا تبهجه ولا تسره، لما يعانيه من آلام هذا الليل الموحش.

مما سبق نرى أن البهاء في تصويره لليل الطويل، يرد طول الليل إلى السهر وعدم النوم تارة، وإلى الهموم والفكر والأحزان تارة أخرى، ولعله في ذلك قد تأثر بسابقيه من الشعراء، فثمة كثير من الشعراء من رد طول الليل إلى هذه الأسباب نفسها، فنرى بشار بن برد يقول:

طال هذا الليل بل طال السهـر ولقد أعـرف ليلي بالقصـر

لم يطل ليلي حتى جفاني شـادن ناعم الأطراف فتّان النظـر

لي فـي لـيـلي مـنـه لـوعـة ملكت قلبي وسمعي والبصر

فـكأن الهم شـخص مـاثـل كلما أبصره الـنوم نـفـر[٧٩]

لقد جعل الهم والسهر سببا في طول الليل وألمه، ويؤكد المعنى نفسه في قوله :

أقـولُ ولـيلتـي تـزداد طـولا أمـا لـلـيـل بـعـدهـم نـهار

كـأن جـفـونـه سـمـلت بشوك فـلـيس لنـومـه فيـها فـرار

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنـها قصـار[٨٠]

ويؤكد كثير من الشعراء في تصويراتهم لليل أن طول الليل يرجع إلى عدم النوم والسهر الناتج عن التفكير في شئ ما، كالتفكير في المحبوب، فنرى بشار بن برد يقول:

لـم يطـل ليلي ولـكن لـم أنـم ونفـى عـني الكـرى طيف ألـم

روِّحـي عنـي قـليلا واعـلـمي أننـي يـا عـبد من لـحـم ودم[٨١]

لقد جعل السهر والتفكير في الحبيب سبباً في طول ليله، فمن تنعم بالنوم والراحة في الليل لا يشعر بطوله وألمه.

وإذا تأملنا تصويرات البهاء زهير السابقة لليل الطويل، نجد أنه تأثر بمصطلح (طُول ليل) في شعره، متأثراً بما تردد في شعر من سبقه من الشعراء، فثمة كثير من الشعراء

ذكر مصطلح (طال ليلي) في شعره، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نرى بشار بن برد يقول في شعره:

طـــال لـــيلـــي مـــن حـــب مَـــن لا أراه مـــقـــــاربـــــــي[٨٢]

ويقول ابن المعتز في شعره:

طـــال ليلي وساورتني الهموم وكأني لـــكل نـــجـــم غـــريـــم[٨٣]

ويقول أيضاً :

أقول وقـــد طال ليل الهموم وقاســـيت حزن فؤاد سقيـــم[٨٤]

ويقول ديك الجن :

من نام لم يدر طال الليل أم قصرا ما يعرف الليل إلا عاشق سهرا[٨٥]

هكذا تفنن الشعراء في تصويرهم لليل بالإطالة والقسوة والألم، فتأثر البهاء زهير بهم، كي يثبت أنه لا يقل شاعرية عنهم في تصويره لليل بالطول والقسوة.

٢ – تصوير الليل بالقصر والسعادة والمتعة.

يعد تصوير الليل بالقصر والسعادة والمتعة الصورة المقابلة لتصوير الليل بالطول والقسوة، فكما أبدع الشعراء في تصوير الليل ببطء مروره وإبراز آلامه، أبدعوا في الوقت نفسه في تصوير الليل بسرعة مروره وإبراز متعته ولذة سمره، و البهاء زهير تأثر بمن سبقه في هذه الصورة، فراح يصور الليل بقصر وقته وسرعة مروره ولذة سمره ومتعته.

ولعل الذي جعل الشعراء– ومنهم البهاء– يصورون الليل بهذه الصورة الجميلة هو اقتران الليل بالمحبوب، فعندما يحظون بلقاء الحبيب ويتمتعون بجماله وسمره طوال الليل، نراهم يبدعون في تصوير لذة الليل وجماله وقصر وقته وسرعة مروره، وعلى النقيض من ذلك إذا هاجرهم الحبيب وعانوا آلام السهر الموجع طوال الليل من أجل التفكير فيه، نراهم يبدعون في تصوير قسوة الليل وطول وقته وبطء مروره، وربما تكون ثمة عوامل أخرى تجعل الشعراء يحسون بقصر الليل ولذته والتمتع بوقته،

كالسمر اللذيذ مع الأصحاب، أو المناسبات السعيدة التي تحدث في الليل، أو الطرب والغناء واللهو وغيرها.

ولنستعرض عدة نماذج من تصويرات البهاء لقصر الليل في شعره، كي نتعرف من خلالها على أوجه التأثر بالشعراء السابقين في هذا المقام.

من هذه النماذج قوله:

ولي لَيلَةٌ طَرَقَتْ بالسّعُود ... فَحَدِّثْ بما شئتَ عن لَيلتي

فما كان أحسنَ من مَجْلِسي ... وما كان أرْفَعَ من هِمَّتي

بشَمسِ الضحى وببدر الدّجى ... على يَمْنَتي وعلى يَسْرَتي

وَ بِتُّ وعن خبري لا تَسَلْ ... بذاكَ الذي و بتلك التي

فَقَضَّيتُها في الهوى ليلةً ... إخالُ الخليفةَ في خِدمتي

سأشكُرُها أبداً مابَقيت ... وإن عَظُمتْ بعْدها حسْرتي

فَما كان أسهَلَ إذْ أقْبَلَت ... وَما كان أصْعَب إذْ وَلَّتِ[٨٦]

لعلنا نحس بسعادة الشاعر من خلال تصويره لهذه الليلة السعيدة، التي جعلته متحسراً عليها، لسرعة مرورها.

ومن صوره لليل القصير السعيد قوله:

ولَيلَةٍ من الليالي الصَالِحَهْ ... باتَتْ بها الهُمُوم عنِّي نازحَهْ

وغَادَةٍ بوَصْلِها مُسَامِحَهْ ... تحفَظُ وُدِّي مثلَ حفظِ الفاتحَهْ

كأنَّها بَعضُ الظِّباءِ السَّانِحهْ ... باتَتْ بها صفقَةُ وُدِّي رابِحَهْ[٨٧]

لقد أمتعنا الشاعر من خلال هذه الأبيات بصورة الليلة السعيدة، التي صورها بالإنسانة الصالحة الطيبة التي لا تضمر له هماً ولا غماً ولا ألماً، فهي تحفظ له الود والحب والسعادة والخير، ويشبهها في ذلك بفاتحة الكتاب الكريم، كما أنه صور جمالها بالظباء الحسنة المظهر، فإنه لا يجني من هذه الليلة السعيدة غير الكسب والربح والفوز والنجاح.

ومن صوره لليل الممتع قوله:

ولـم ترَعـيـني لـيلةً مـثلَ لـيلتـي فـيـا سَـهَـري فيها لقد كنتُ طَيِّبـا
جزى اللهُ بَعضَ الناسِ ما هـو أهلُـه وَحَـيَّـاه عني كـلَّما هـبَّتِ الـصَّبـا[88]

إنه جسّم الليلة السعيدة فجعلها صورة جميلة ممتعة، تسعد العين برؤيتها، ولم تر العين مثلها في الحسن والجمال، كما صور سهرها باللذة والمتعة، وربما يرجع ذلك إلى الظفر برؤية الحبيب ولقائه في هذه الليلة، فإن ذلك يجعل السهر ممتعاً لذيذاً أكثر من لذة النوم وراحته.

ومن صوره لليل السعيد قوله:

وأتـى العَذولُ وقَد سَددتُ مسَامعي بـهـوًى يرُدّ من العَوَاذلِ عسكرا
جَـهِـلَ العَذولُ بـأنَّني في حُبِّكم سَهَرُ الدُّجَى عنْدي ألذُّ من الكَرى[89]

لعلنا نشعر بجمال التصوير في قوله (سهر الدجى ألذ من الكرى)، فالسهر مع الحبيب فيه لذة ومتعة أحلى من النوم في الليل، وهذا ما يجعل الشاعر يحس بقصر ليله وسرعة مروره، ولقد حرص البهاء زهير مراراً على تصوير ذلك في شعره فنراه يقول:[90]

وسَـهرتُ فـي لـيلِ الـصِّـبـا سَهَراً أَلَـذُّ مـن الـهُـجُـوع
وطَـرقْتُ خِدْرِ الكَاعِـب الـ حَـسْـنَـاءِ والـخَودِ الـشَّـمـوع[91]

صور سهره في هذا الليل السعيد باللذة والمتعة والسعادة مع المحبوبة الحسناء الجميلة، كما صور سعادته في هذا الليل مع الحبيب بالسمر اللذيذ الممتع، فهما يستمتعان في هذا الليل بتبادل الأشواق والغرام، ومن ثم أصبح سهر ليلهما أحلى وألذ من نومه.

ومن خلال تصويرات الشاعر لقصر الليل وسعادته، نراه يردُّ قصر الليل وسعادته إلى المتعة بلقاء الحبيب في هذا الليل، ولعله في ذلك قد تأثر بمن سبقه من الشعراء، فثمة كثير من الشعراء أكدوا ذلك في شعرهم كقول الشاعر:

ولـيـلٍ لـم يـقـصّـره رقـاد وقَـصّـر طـوله وصْـل الحبيب
نـعـيم الحب أورق فيه حتـى تناولـنا جـنـاه مـن قـريـب[92]

وقول إبراهيم بن العباس:

ولـيـلـةٍ مـن اللـيـالي الـغـر قـابلـت فـيهـا بـدرهـا ببدري
لـم تـك غـيـر شـفـق وفـجر حتى تقضَّتْ وهي بكر الدهـر[٩٣]

قال أبو هلال العسكري:"هذا أجود ما قيل في قصر الليل وأشده اختصاراً، وقال غيره:

ولـيـلةٍ فـيهـا قـصـر عشـاؤهـا مـثـل السـحـر[٩٤]

هكذا أبدع الشعراء السابقون في ربط سعادتهم بتصوير الليل القصير الممتع، متأثراً بهم البهاء في كثير من تصويراته لليل القصير الممتع فنراه يقول:

ما أطيَبَ الليلَ فيه حـين أسهـرُهُ كأنَّـمـا زَهَـراتـي فـيـه أسْمَارُ
وليلةُ الهجرِ إنْ طالتْ وإن قَصُرَتْ فَمُؤنِـسي أمـلٌ فيها وتذكـارُ[٩٥]

إنه يؤكد سعادته بالليل في سهر الحبيب والأمل في لقائه دائماً.

ويقول في موطن آخر:

فكم ليلةٍ بـتـنا وكم باتَ بـيـنـنا من الأُنس ما يُنسَى به طيِّب الكَرَى
أحاديث أحلى في النفوسِ من المُنى وألْطَفُ من مَرِّ النَّسيم إذا سَـرى[٩٦]

لقد ربط سعادة الليل ومتعته بلقاء المحبوب.

وما زلنا مع تصويرات البهاء المتأثرة بالشعراء السابقين لصورة الليل القصير الممتع بلقاء الحبيب فنراه يقول:

وكم ليلةٍ بتْناعلى غـير ريـبـةٍ حُـفَّ بنا فـيها التّـُقى والـتَّعـفُّـف
تَركنا الهَوَى لمَّا خلَونا بـمَعزلٍ وبـات عـلـيـنـا للصَّـبـابة مُـشْـرِفُ
ظَفِرْنا بما نَهوى من الأُنْسِ وَحدَه لَـسْنا إلـى مـا خَـلْـفَـهُ نَـتَـطَـرَّفُ[٩٧]

تصوير جميل لليلة سعيدة ممتعة، فاز من خلالها بلقاء المحبوب، فما أجمل هذه الليلة وما أحسنها حينما تكون ليلة وصل ولقاء بينهما.

٣ – تصوير مظاهر الليل المتنوعة.

لليل مظاهر كثيرة يتحلى بها وتميزه عن النهار، فمن مظاهره القمر والنجوم والبرق والنسيم العليل والظلام والسكون والهدوء والراحة والستر والخفاء والنوم والسهر الطويل والسمر اللذيذ وغيرها.

ولقد تأثر عامة الشعراء بمظاهر الليل فصوروها في أشعارهم وربطوا بينها وبين الغزل بالحبيب تارة، وبينها وبين حياتهم تارة أخرى، وقد انعكس ذلك على تصوير البهاء لمظاهر الليل، وسوف أستعرض بعض النماذج الشعرية التي صور من خلالها البهاء زهير مظاهر الليل المختلفة، متأثراً فيها بمن سبقه من الشعراء،كقوله:

وزائرةٍ زارتْ وقد هجم الدُّجـى ... وكـنتُ لـميعادٍ لها مـتَرَقِّـبـا
ولم ترَ عـيـني لـيلةً مثلَ ليلتي ... فيا سهري فيها لقد كنتَ طيِّبـا
وما زَارَني حتى رأى الناسَ نُوَّما ... ورَاقَب ضَوْءَ البَدرِ حتى تَغَيَّبـا[98]

قرن الشاعر بين وصفه للحبيب وتصويره لمظاهر الليل، فصور أربعة مظاهر، تتمثل في ظلام الليل (وقد هجم الدجى)، والسهر (فيا سهري)، والنوم (الناس نوما)، والبدر (ضوء البدر)، وما زال الشاعر يقرن تصوير مظاهر الليل بوصف الحبيب، فنراه يقول:

رعيتُ نجومَ الليل من أجل أنهـا ... على جيدها منها عُقُودٌ تُديرُهـا
وقد قيل إنَّ الطَّيف في النَّومِ زائـرٌ ... فأينَ لطَرْفي نَوْمَةٌ يَستَعيرُهـا
أغار على الغُصْنِ الرَّطيبِ من الصَّبا ... وذَاك لأنّ الغُصْنَ قيلَ نَظيرُها[99]

السهر والنوم والنجوم من مظاهر الليل التي استعان بها الشاعر لتصوير حاله مع الحبيب، ويقول في موطن آخر:

إنَّ ليلاً قد دجـا من شَعْـرِهِ ... فيه ما أحلى الضَّنى والسَّهَـرا
وصَباحاً قد بَدا من وَجْهـه ... حَيَّـر الألبابَ لمَّا أسفَـرا[100]

قرن الشاعر تصوير ظلام الليل بشعر المحبوبة في قوله (إن ليلا قد دجا من شعره)، كما صور السهر مع الحبيب بالشراب الحلو اللذيذ في قوله (ما أحلى الضنى والسهرا).

وما زال البهاء يقرن تصوير مظاهر الليل بالغزل في المحبوب فنراه يقول:

سَلوا النَّجمَ يُخبرْكُم بحالي في الدجى ولا تسألوا عَمَّا تَجِنُّ ضلُوعـــي
وَإنْ لاحَ بَرْقٌ فهوَ نارُ صَبابَتـــي وإنْ راحَ سَيْلٌ فهوَ ماءُ دُمُوعي
فيا قَمَري مُذْ غِبْتَ أَوْحَشْتَ ناظِري لَعَلَّك ليلاً مُؤنِسي بطُلُـــوعِ[١٠١]

لقد جاء الشاعر في هذه الأبيات بخمسة مظاهر من مظاهر الليل، هي النجم والظلام والبرق والسيل والقمر.

ولعل الشاعر في تصويره لمظاهر الليل المتنوعة، وربطها بالغزل في المحبوب، قد تأثر بمن سبقه من الشعراء في هذا المقام، فثمة كثير من الشعراء السابقين له قد استعانوا بتصوير مظاهر الليل عند الغزل بالحبيب، فنرى- على سبيل المثال لا الحصر- من تأثر بصورة القمر أو البدر عند غزله بالحبيب كعمر بن أبي ربيعة في قوله:

إنما أنتِ ظبيـــــة من إكام عشائـــــب
أو هـــلال بدا لنـــا وســـط زهر الكواكب[١٠٢]

وقوله:

لها وجه يضئ كضوء بدر عتيق اللون باشره النعيم[١٠٣]

وبشار بن برد في قوله:

غراء كالقمر المشهور حين بدت لا بل بدا مثلها حين استوى القمر[١٠٤]

ومنهم من تأثر بظلام الليل وسكونه وستره كالبحتري في قوله:

على باب قنسرين والليل لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد[١٠٥]

لقد صور ظلام الليل بقوله: (والليل لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد)، كناية عن شدة ظلام الليل، وصور أبو نواس ظلام الليل في قوله:

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وجفن الليل مكتحل بقـــــار[١٠٦]

صور الليل في ظلامه بإنسان له عين سوداء مكتحلة بالقار للدلالة على سواده وشدة ظلامه، وفي المعنى نفسه قال أبو تمام:

إليك هتكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد بإثمد[١٠٧]

وإذا كان البهاءَ قد تأثر بمن سبقه في تصوير مظاهر الليل، لاسيما القمر أو البدر وربطه بجمال المحبوبة وحسنها، وظلام الليل وربطه بسواد شعر المحبوبة، فإن البهاء لم يكتفِ بربط تصوير مظاهر الليل بالغزل في الحبيب فحسب، بيد أنه ربط صور مظاهر الليل بأغراض الشعر الأخرى، كالمدح والهجاء والوصف، فنراه في المدح يقول[١٠٨]:

وجَيْشٍ كمثلِ الليل هَوْلاً وهَيْبَةً ... وإن زانَهُ ما فيهِ من أنجُمِ زُهْـــرْ
وكُلِّ جَوادٍ لم يكن قَطُّ مِثْلُـهُ ... لآلِ زُهَيرٍ لا ولا لبني بَـــــدْرِ[١٠٩]

ويقول البهاء في المدح أيضاً[١١٠]:

وسَرَيتُ في ليلٍ كأنّ نُجومَـــه ... مـــن فَرْطِ غَيرَتِها إليَّ تُحَـــدِّقُ
حتى وَصلتُ سُرَادِقَ الملكِ الذي ... تَقِفُ المُلُوكُ ببابهِ تَستَـــرْزِقُ
فإليكَ يا نَجْمَ السّماء فإنّنـــي ... قد لاحَ نجمُ الدين لي يتألَّـــــقُ[١١١]

ويقول في مدح الركب:

وَرَكْبٍ كالنُّجومِ على نُجـــومٍ ... مَرَقْنَ من الفَلاةِ بهم مُرُوقَـــــا
سَرَينَ بهم كأنَّهم نَشَـــــاوى ... على الأكـــوارِ قـد شربوا رَحِيقا
وَضَوْءُ الفَجرِ مثلُ النَّهرِ جـــارٍ ... تَرَى بَدرَ الدُّجى فيه غَرِيقـــا[١١٢]

ونراه في الهجاء يقول:

ورقيبٍ عَدِمتُهُ من رقيـــبٍ ... أسودِ الوَجهِ والقَفَا والصِّفـــاتِ
هوَ كالليلِ في الظَّلامِ وعَنـدي ... هـوَ كالصُّبحِ قاطعُ اللّـــذّاتِ[١١٣]

ونراه في يقول في وصف فرسة:

شَكَتْتي لكلِّ النَّاسِ وهيَ بهيمـــةٌ ... ولكنْ لها حالٌ فصيحٌ كَلامُهـــا
إذا خَرَجتْ تحتَ الظَّلامِ فلا تُرَى ... من الضَّعفِ إلاّ أن يُصكَّ لجامُها
وليستْ تَراها العَينُ إلاّ عَبَـــاءةً ... يُشَـدُّ عَلَيـها سَرْجُها وحِزامُها[١١٤]

ولعله في ذلك تأثر بمن استخدموا مظاهر الليل المتنوعة في الوصف، فنرى منهم من وصف الشباب بظلام الليل والشيب بضياء الصبح كقول الشاعر:

لا تدعني لصبوح إن الغبوق حبيبـــــي
فالليل لون شبابي والصبح لـون مشيبـي[١١٥]

صور الشاعر- هنا- الليل بظلامه كناية عن سواد الشعر في الشباب، والصبح بضيائه كناية عن بياض الشعر في الشيب. ونرى ابن عبد ربه يقول:

نجوم في المفارق ما تغور ولا يجري بها فلك يـــدور
كأن سواد لمَّته ظـــــلام أغار من الشيب عليه نور[١١٦]

لقد صور شعيرات الشيب بالنجوم في المفارق، وصور شعيرات الشباب بظلام الليل في سوادها.

وهكذا صور الشعراء مظاهر الليل المتنوعة في صور متعددة، وقرنوها بالغزل والمدح والهجاء والوصف، فتأثر البهاء بهم وقرن مظاهر الليل بهذه الأغراض الشعرية.

المبحث الثاني: رؤى الشاعر الفنية في الليل من خلال شعره

لقد كان للبهاء زهير بعض الرؤى الفنية إزاء الليل، ظهرت في شعره من خلال تصويره لليل، سوف أوجزها في خمس رؤى.

١- اغتنام الليل بالعبادة:

لعل الشاعر- من خلال هذه الرؤية- يعلم تماماً مكانة الليل السامية في الإسلام من حيث التعبد فيه، لذلك يحثنا في هذه الرؤية على أن نغتنم الليل بالعبادة، ولا نفرط في وقته بالنوم، ومن ثم نراه يقول:

ألاَ يأيُّهـــا الـنـــائـــم إنَّ اللـيـلَ قـــد أصْـبـــحَ
وهـذا الشَرْقُ قد أعلَـــن بالنـور وقـــد صَـــرَّحْ
ألم يـوقـظْكَ مـَن ذكَّـــر بـالـلـه وقـد سـبَّـحْ
فـمَا بـالُ دَوَاعـيـكَ إلى الـخـيراتِ لا تـَجْـنَـحْ
إذاحـرَّكـك الذِّكْـرُ تـثـاقـلـتَ ولـم تـَبـرَحْ
أضَعْـتَ العُـمرَ خُسرانـا فـبـالـلـه مـتـى تـَرْبـَحْ[١١٧]

استطاع الشاعر أن يحثنا – من خلال رؤيته الفنية– بما حثنا عليه الإسلام في قيام الليل، قال تعالى:[استعينوا بالصبر والصلاة] (البقرة١٥٣)، قيل الصلاة هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس[١١٨].

٢- جمال الليل بمظاهره:

يرى الشاعر أن الليل جميل لما فيه من نجوم وقمر، فضلاً على ظلامه الذي يساعد على إبراز زينة المصابيح وضيائها على النقيض من النهار، فكثير من المباني والقصور لا يظهر جمالها إلا في الليل، وثمة كثير من البلدان الجميلة الممتعة تظهر بمناظرها الخلابة وقصورها المبهرة وصورها الرائعة آناء الليل، ولذلك يقول البهاء:

ولَـيـاليّ فـي الجزيرة والـجـيـ ـزة فيما اشتهيت من لذاتِ

بين رَوْضٍ حكى ظهورَ الطواويـ ـسِ وجوٌ حكى بطون البُزاةِ[١١٩]

ولعل كثيراً من الشعراء اتفقوا مع البهاء في رؤيته لليل، فكانوا يتأثرون بجمال المباني في الليل، ويصورونه في أشعارهم، قيل إن الرشيد لما دخل منبج[١٢٠]، قال لعبد الملك بن صالح بن علي: أهذا منزلك؟ قال: هو لك، ولي بك يا أمير المؤمنين، قال: كيف بناؤه؟ قال: دون منازل أهلي وفوق منازل الناس، قال: وكيف ذلك وقدرك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خلق أمير المؤمنين أتأسى به، وأقفو أثره، وأحذو حذوه، قال: فكيف طيب منبج؟ قال: عذبة الماء، قليلة الأدواء، قال: فكيف ليلها؟ قال: سحر كله، وأخذ هذا الطائي ذلك فقال:

أيامـنا مـصقـولة أطـرافـهـا بـك والـلـيالـي كلـها أسـحـار[١٢١]

ولأهل العصر قال أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي:

يارب ليل سرور خلته قصراً كعارض البرق في أفق الدجا برقا

قد كاد يعـثر أولاه بآخـره وكاد يسـبق منه فجره الـشـفـقا

كأنما طرفـاه طرف اتفق الـ ـجفنان منه على الإطباق وافترقا[١٢٢]

وقال ابن المعتز في هذا المقام:

يا رب لـيل سـحر كـله مفتـضح البدر عليل الـنسـيم[١٢٣]

٣- الليل يستر والصبح يفضح:

يرى البهاء أن الليل وسيلة لستر الأشياء وإخفائها، على النقيض من النهار الذي يكشف ويفضح، فيقول:

رَعَى اللهُ طَيفا منكُم بُات مُؤنِسي ... فما ضرَّهُ إذ باتَ لو كان يـُصْبحُ

ولكِنْ أتى ليلا وعاد بـسُحرَةٍ ... دَرَى أنَّ ضَوْءَ الصبحِ إنْ لاحَ يَفضَحُ[١٢٤]

ويقول في ستر الليل:

قُمنا وهلْ طابَ نعيمٌ واستَمَـرّ ... قد سَتَرَ الليلُ علينا وغَفَـــــــرْ

وما لَذيذُ العَيشِ إلاّ ما استَتَـــرْ ... لليلِ عندي مِنَنٌ إذا اعتَكَـــــــرْ[١٢٥]

لعل البهاء من خلال هذه الرؤية الفنية لليل، يشير إلى ستر الليل للأشياء بظلامه وسكونه، قال تعالى:[والليل إذا سجى] (الضحى٢)، أي إذا سكن، وسكونه هدوّه في هذا الوقت، فلا تبقى عين إلاّ نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم[١٢٦].

٤- الليل وسيلة للتلذذ والصبح قاطع لها:

تتمثل هذه الرؤية في أن الليل يمتع المرء بسهره وسمره، وبذلك يتلذذ الإنسان بالليل دون النهار الذي يراه الشاعر بأنه قاطع للذات الليل، ومن هنا يوضح البهاء رؤيته الفنية في التلذذ بالليل فيقول:

ما أطيَبَ الليلَ فيه حـين أسهـــرُهُ ... كأنَّما زَفـراتـي فـيـه أسْمَارُ

وليلةُ الهجرِ إنْ طالتْ وإن قَصُرَتْ ... فَمُـؤنِسي أمـلٌ فيها وتذكـارُ[١٢٧]

ويؤكد الشاعر رؤيته في أن الصبح يقطع اللذات بقوله:

ورقـيبٍ عَـدِمتُهُ مـن رَقـيبٍ ... أسوَدِ الوَجهِ والقَفَا والصّفات

هوَ كالليل في الظلامِ وعندي ... هـوَ كالصبحِ قاطـعُ اللَّـذّات[١٢٨]

٥- الليل مخيف مرعب:

يرى البهاء الليل مخيفاً، لما فيه من ظلام دامس وسكون مرعب، ولذلك يصف جيش الممدوح بالليل المخيف في قوله:

وجَيشٍ كمِثْلِ الليل هَوْلاً وهَيْبَةً وإن زانَهُ ما فيهِ من أنجُمٍ زُهْـــرْ[١٢٩]

لعل الشاعر من خلال هذه الرؤية الفنية يحثنا على عدم السير ليلاً في جنح الظلام الدامس، خشية الوقوع في خطر ما.

المبحث الثالث: الصور البلاغية لليل في شعر البهاء

استطاع البهاء في تصويره لليل أن يستعين بكثير من فنون البلاغة المتنوعة، فجاء بصور بيانية مختلفة، من كنايات وتشبيهات واستعارات، وفنون بديعية متنوعة من اقتباس وجناس وطباق ومقابلة وتورية، فضلاً على الأساليب البلاغية المتمثلة في أساليب الاستفهام والأمر وغيرها، وسوف تقوم الدراسة في هذا المبحث بتحليل وشرح ما جاء من فنون بلاغية في تصوير الليل من خلال بعض النماذج الشعرية، ففي قوله لوصف ليلة طويلة:

وليـــلةٍ ما مـــثلُـــها قَـــطّ عُهِد مثلَ حشَى العاشقِ باتتْ تتَّقِد
طـــلبتُ فيها مؤنساً فلم أجِد بِتُ أُقـــاسيها وَحـــيداً مُنْـــفَرِد
طالتْ فأمَّا صُبْحُها فَقَد فُقِدْ فَتَحْـــبَلُ المرأةُ فـــيها وتـــلِد[١٣٠]

في هذه الأبيات تصوير بليغ رائع لليل الطويل، صوره من خلال عدة صور بلاغية، الصورة الأولى: تتمثل في البيت الأول من خلال التشبيه التمثيلي، الذي شبه فيه الليل بحرارته ولهيبه وقسوته، بحشى العاشق المحب المتيم التي تشتعل وتتقد حرارة ولهيباً على فراق الحبيب، والصورة الثانية: تتمثل في البيت الثاني من خلال الكناية والاستعارة، في قوله (طلبت فيها مؤنسا)، كناية عن وحشة هذه الليلة وقسوتها، وقوله (بت أقاسيها)، استعارة مكنية فيها تشخيص لليلة، والصورة الثالثة: تتمثل في البيت الثالث من خلال كنايتين، جاء بهما في قوله (فأما صبحها فقد فقد)، كناية عن طول الليلة وبطء مرورها، وقوله (فتحبل المرأة فيها وتلد)، كناية عن طولها وسعة وقتها، وثمة جناس في قوله (فَقَد فُقِدْ) الأولى للتحقيق، والثانية بمعنى ضاع، وهذا الجناس يعد جناساً محرفاً، لاختلاف ركنيه في الحركات والسكنات[١٣١].

ومن تصويراته البلاغية لليل الطويل الموحش قوله:

حَـدِّثُـوا عن طُول ليل بـتُّهُ هل رأيتم هل سمعتم هل عُهِد
لا رَعَـاهُ اللـه مـا أطـولَـه تَحْـبَلُ المـرأةُ فيه وتـلِـد
ليسَ ما أشكوهُ منهُ واحِدا كُلّ شئٍ مـرَّ بـي فـيـه نَكِـد[١٣٢]

صور في البيت الأول طول الليل وقسوته بقوله (حَـدِّثُـوا عن طُول ليل بـتُّهُ)، ثم استعان بالاستفهامات البلاغية في قوله (هل رأيتم؟ هل سمعتم ؟ هل عُهِد ؟)، للدلالة على الدهشة والتعجب من قسوة هذا الليل وطول وقته. وفي البيت الثاني يدعو على الليل الطويل القاسي بالهلاك والزوال في قوله (لا رَعَـاهُ اللـه مـا أطـولَـه)، وفي هذا التصوير استعارة مكنية فيها تشخيص لليل الموحش، وفي قوله (تحبل المرأة فيه وتلد)، كناية عن طول الليل. وفي البيت الأخير صور الليل بإنسان ظالم له يقسو عليه في قوله(ليسَ ما أشكوهُ منهُ واحِدا)، استعارة مكنية فيها تشخيص لليل، وفي قوله(كُـلّ شئٍ مـرَّ بـي فـيـه نَكِـد)، كناية عن كثرة هموم هذا الليل وغمه.

ومن تصويراته البلاغية لليل الطويل المؤلم قوله:

أَيـنَ مَـوْلايَ يَـرانـي وَدمُـوعـي فـوْق خَـدِّيْ
أَقْـطَـعُ الـلـيلَ أُقَـاسي مَـا أُقَـاسي فـيهِ وَحـدي[١٣٣]

في هذا التصوير جسم الليل من خلال الاستعارة المكنية في قوله(أقطع الليل)، ثم صور قسوة الليل من خلال الكناية في قوله(أقاسي ما أقاسي فيه وحدي)، للدلالة على كثرة هموم هذا الليل ، ولعلنا نحس من خلال هذا التصوير بآلام الشاعر، فلا أنيس يعينه على قسوة هذا الليل غير دموعه المنهمرة.

ومن الصور البلاغية لليل الطويل الموحش قوله:

يـا لـيْـلُ ما لَـكَ آخـرُ يُـرْجَـى ولا للـشِّـوْقِ آخـرْ
يـا لـيْـلُ طُلْ يا شوقُ دُمْ إنِّـي عـلى الحـالَـيـنِ صـابِـرْ
لي فـيـكَ أجـرٌ مُـجَـاهِـدٍ إنْ صَـحَّ أنَّ الـلَّيـلَ كـافِـرْ[١٣٤]

إنه قرن الشوق للمحبوب بتصوير الليل، فنجده في البيت الأول أتي بتشبيه تمثيلي، يشبه فيه طول الليل بطول الشوق عند المحبين، فكلاهما يتفقان في وجه الشبه من حيث الطول والسعة، وفي قوله(إن الليل كافر)، تشخيص لليل، صوره بالكافر لقسوته وظلمه، ونرى في لفظ (كافر)، تورية بديعية، لها معنيان، المعنى القريب، هو الكافر الجاحد قاسي القلب، والمعنى البعيد – وهو المقصود- الكافر: أي الساتر المغطي، يقال: كفر الليل أي ستر بظلامه الدنيا، وفي ذلك تصوير لليل بالستر والغطاء لأنه يغطي الدنيا بظلامه.

ومن تصويراته المعبرة عن كراهيته لليل المؤلم قوله:

ولـيلـة قـد بِـتُّـهـا لـم أدرِ فيها ما السِّنَـهْ
سَـيِّـئَةٌ مـا تَرَكَـتْ لـلـدَّهرِ عـندي حَسَنَـهْ
طـالَتْ فكَـمْ قد دارَفيـ ـها من فُصـول الأزْمِنَهْ
قَـدَّرْتُهـا اليـوم الـذي مِـقـدارُهُ ألْـفُ سَـنَـهْ [١٣٥]

إنه صور في البيت الأول طول هذه الليلة وقسوتها تصويراً فيه ألم وتشاؤم ويأس، حيث إنه لم يعرف طعم النوم ولا مجرد السِّنة والغفلة، وهي ليلة كلها آلام وأحزان وهموم، وفي البيت الثالث جاء بكناية جميلة في قوله(قد دار فيها من فصول الأزمنة)، كناية عن طول هذه الليلة وبطء مرورها، وفي البيت الأخير جاء بتشبيه تمثيلي، شبه فيه الليلة باليوم الطويل الذي قدر في القرآن الكريم بألف سنة، ويعد ذلك اقتباساً قرآنياً من قوله تعالى:[في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون] (السجدة٥).

ومن تصويراته البلاغية لليالي السعيدة قوله:

ولي لَـيلَةٌ طَـرَقَتْ بـالسّـعُود فَحَـدِّثْ بـما شـئتَ عـن لَيلـتي
فما كان أحسنَ مـن مَجْـلِسـ وما كـان أرْفَـعَ مـن هِمَّـتـي
بشَمسِ الضحى وببدر الـدّجى على يَـمْـنَـتي وعلى يَـسْـرَتي
وبَتُّ وعن خـبري لا تَـسَل بذاكَ الـذي و بـتـلـك الـتـي
فَقَـضَّـيتُهـا في الهوى ليلةً إخـالُ الـخـلـيفـةَ فـي خِـدمـتي

سأشكُـرُها أبداً ما بَـقِـيـت وإن عَـظُمـتْ بـعْـدهـا حـسْرتي
فَما كان أسهلَ إذْ أقْـبلَـت وَما كـان أصْـعَـب إذْ ولَّـتِ[١٣٦]

صور هذه الليلة بالسعادة في قوله (طرقت بالسعود)، وهي استعارة مكنية فيها تشخيص لليلة التي شبهها بإنسانة تحمل خبراً سعيداً، وفي قوله (فَحَدِّثْ بـمـا شـئـتَ عـن لَـيلـتي)، كناية عن كثرة اللذات والمتعات فيها، وفي البيت الثاني صور مجلسها بالحسن والجمال، وفي قوله (وَبِتُّ وعـن خـبـري لا تَـسَـلْ)، كناية عن كثرة سعادته وهنائه بها، وقوله (إخـالُ الـخـلـيـفـةَ فـي خِـدمـتـي) ، كناية عن فوزه وظفره بكل شئ في هذه الليلة السعيدة، وفي البيتين الأخيرين توريتان بديعيتان، المعنى القريب فيهما المحبوبة، والمعنى البعيد- وهو المقصود- الليلة السعيدة، فهو يشكرها إذا ما استمرت وبقيت بسعادتها، ويتحسر عليها إذا ما مشت وتولت، فما أحلى من إقبالها وما أمرّ من انقضائها، ولقد جاء الشاعر في تصويراته البيانية من خلال البيتين الأخيرين بأربع استعارات مكنية فيها تشخيص لليلة السعيدة، التي صورها بالإنسانة المبهجة السعيدة في قوله (سأشكرها ما بقيت)، وقوله (عَـظُمـتْ بـعْـدهـا حـسْرتي)، وقوله (ما كان أسهل إذ أقبلت)، وقوله (ما كان أصعب إذ ولت)، وختم الشاعر تصويراته لليلة السعيدة بمقابلة بديعية في البيت الأخير في قوله (فَـمـا كـان أسـهَـلَ إذْ أقْـبَـلَـت، وَمـا كـان أصْـعَـب إذْ ولَّـتِ).ومن صوره البلاغية لليل السعيد الممتع قوله:

فكم ليلةٍ بتنا وكم باتَ بـيـننا من الأُنس ما يُنسَى به طيِّب الكَرَى
أحاديث أحلى في النفوسِ من المُنى وألْطَفُ من مَرِّ النَّسيم إذا سَرى[١٣٧]

لقد صور سعادته وأنسه بلقاء الحبيب الذي يريحه كثيراً في سهر الليل، كما يريح النوم صاحبه من الهموم، فجاء بتشبيه تمثيلي شبه فيه الأنس بلقاء الحبيب في الليل بنوم المجهد المهموم في الليل، ووجه الشبه بينهما هو الراحة والمتعة، فكما يستمتع المجهد بنومه، يستمتع المحب العاشق بسهر الحبيب في الليل، وصور أحاديثهما الليلية بسريان النسيم العليل في الليل، ووجه الشبه بينهما هو الرقة والخفة والجمال واللذة، ولعل الذي

جعله يأتي بهذا التشبيه هو الليل نفسه، حيث إن النسيم العليل لم يتوفر إلا في الليل- ليل الربيع أو الصيف أو الخريف- ، وبذلك يكون الشاعر قد استمتع- من خلال تصويره- بالاثنين معاً في الليل، حديث الحبيب وسمره، والنسيم العليل ورقته.

وما زلنا مع تصويرات البهاء البلاغية لصورة الليل الممتع بلقاء الحبيب فيقول:

رَعَى اللهُ لـيلةَ وصلٍ خَـلَتْ وا خَالَط الـصَّـفـو فـيهـا كَـدَر
أَتَتْ بَغـتَةً ومَضَتْ سُـرْعَةً وما قَـصَّرَتْ مـعَ ذاكَ القِـصَر[١٣٨]

من خلال هذا التصوير جاء الشاعر بكناية بليغة في قوله (وما خالط الصفو فيها كدر) كناية للدلالة على السعادة والهناء والمتعة، وجاء بطباق بديعي في قوله: (الصفو والكدر)، وقوله (أتت ومضت)، وذلك لإبراز المعنى ووضوحه، كما جاء بكناية بليغة في قوله (أتت بغتة ومضت سرعة) كناية للدلالة على قصر وقتها وسرعة مرورها.

ويواصل البهاء تصويره البلاغي لليلة السعيدة الممتعة في قوله:

ولَـيلَـةٍ كـأَنَّـهـا يَـوْمٌ أغَـرّ ظلامُها أشرقُ من ضَـوْء القَمَرْ
كأَنَّـها فـي مُقـلَةِ الدَّهـرِ حَـوَرْ ما قصَّرَت لو سلِمَتْ من القِصَرْ
حينَ أتتْ مَـرَّت كلَمحٍ بالـبَـصر لَيسَ لـها بـيـن الـنَّهارَين أثرْ
تَـطَّابَـقَ الـعـشاءُ مـنها والسَّحر ألـذُّ من طيب الكَرى فيها السهر[١٣٩]

تصوير بليغ رائع مملوء بالمحسنات البديعية التي تتمثل في الطباق البديعي بين هذه الألفاظ في قوله (ظلامها وضوء) و (أتت ومرت) و (الكرى والسهر)، والمقابلة البديعية في قوله (ما قصرت وسلمت من القصر) وذلك لإبراز المعنى ووضوحه. كما جاء من خلال هذا التصوير بكثير من الصور البيانية التي تتمثل في قوله (وليلة كأنها يوم أغر)، تشبيه بليغ، شبه الليلة في جمالها ولذتها باليوم الأغر، وهو اليوم الأبيض، فالأغر: هو الأبيض من كل شئ[١٤٠]، ويعد طرفا التشبيه- هنا- عقليين أي مدركان بالعقل، لأن المشبه(الليلة السعيدة) عقلي، والمشبه به(يوم أغر) عقلي[١٤١]، ويسمى هذا التشبيه مرسلاً مجملاً، لأن التشبيه المرسل المجمل هو الذي تُذكر فيه أداة التشبيه دون وجه الشبه[١٤٢]، والشاعر هنا جاء بأداة التشبيه(كأنها)، ولم يذكر وجه الشبه الذي يتمثل

في الجمال والسعادة والمتعة. وقوله (كأنها حور)، تشبيه بليغ لليلة السعيدة، حيث شبهها بالحور للدلالة على جمالها وحسنها وبهائها، فالحور: هو أن يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حواليها[١٤٣]. وقوله (في مقلة الدهر حور)، استعارة مكنية فيها تشخيص للدهر وتجسيم لليلة، وقوله (ما قصرت لو سلمت من القصر)، كناية عن تمام متعتها وكمال لذتها وسعادتها. وقوله (مرت كلمح بالبصر)، تشبيه مرسل مجمل، للدلالة على سرعة مرورها وقصر وقتها، فالشاعر شبه مرور وقتها في سرعتها بلمح البصر في سرعته، ولعل المشبه به (كلمح بالبصر)، يعد اقتباساً قرآنياً من قوله تعالى: [وما أمر الساعة إلا كلمح البصر] (النحل٧٧). وقوله (ليس لها بين النهارين أثر)، كناية عن قصر وقتها وسرعة مرورها. وقوله: (تطابق العشاء منها والسحر)، كناية أيضاً عن سرعتها وقصر وقتها، فالسحر(هو آخر الليل) تطابق مع العشاء (وهو أول الليل)، وكأن هذه الليلة بدأت بأولها مع آخرها في وقت واحد للدلالة على سرعة مرورها. وقوله (ألذ من طيب الكرى فيها السهر)، استعارة مكنية، فيها تجسيم للسهر والكرى، فالمشبه (الكرى والسهر) عقلي، والمشبه به (الشراب) حسي، والجدير بالذكر أن ثمة فلسفة رمى بها الشاعر من خلال هذا التصوير ظهرت في قوله: (ظلامها أشرق من ضوء القمر)، حيث إن لفظ (أشرق) يدل على الإضاءة والإنارة، يقال: أشرقت الأرض إشراقاً إذا أنارت بإشراق الشمس[١٤٤]، قال تعالى: [وأشرقت الأرض بنور ربها] (الزمر٦٩)، ولقد أراد الشاعر من خلال هذا التصوير الفلسفي أن يجعل ظلام هذه الليلة مشرقاً منيراً، مع أن الظلام لم يكن منيراً، ولكن الذي ينيره القمر، فالقمر هو المشرق المنير وليس الظلام، قال تعالى: [هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً](يونس٥).

ومن صوره البلاغية في الليل السعيد الممتع قوله:

لله لـيلةَ بـتنا والرقـيب بها ... ناءٍ فلا عَـيـنَهُ نَخشى ولا أثرَهْ

غَرَّاء ما اسودَّ منها إن جعلتُ لها ... عيباً سوى مُقلةٍ كحلاءَ أو شَعَـرَهْ

بتنا بها حيثُ لا روعٌ يخامرنا ... ونفحةُ الراحِ والريحانِ مُختَمِرَهْ

لم يكسر النوم عيني عن محاسنها حتى انثنيتُ وعينُ النَّجمِ مُنكَسِرَهْ
مازلتُ أشرَبُها شمساً مُشَعْشَعَةً في الكأس حتى بدتْ كالشمس منتشرهْ[١٤٥]

صور جمال هذه الليلة في عدة تصويرات بلاغية، فمرة يصورها بقوله (غراء)، أي بيضاء، ومرة أخرى يصور ظلامها بقوله (مقلة كحلاء)، أو (شعرة)، وفي ذلك تجسيم لليلة الممتعة، فالمشبه وهو(الليلة) عقلي، والمشبه به (المقلة والشعرة) حسي، فلقد شبه ظلمة الليلة بالمقلة الكحلاء الجميلة تارة، وبالشعرة السوداء تارة أخرى للدلالة على حسنها وجمالها، ثم جاء بكناية بليغة في قوله: (لم يكسر النوم عيني عن محاسنها) للدلالة على كثرة متعته ولذته بهذه الليلة، ومن خلال هذا التصوير جاء باستعارة مكنية في قوله (لم يكسر النوم عيني عن محاسنها) فيها تشخيص للنوم، بيد أن محاسن الليلة ومفاتنها أقوى من النوم، حيث إنها قاومت النوم فغلبته، وجاء باستعارة مكنية في قوله (وعين النجم منكسرة) فيها تشخيص للنجم، ثم جاء باستعارة تصريحية في قوله (أشربها شمساً)، شبه الخمر بالشمس وحذف المشبه وصرح بالمشبه به للدلالة على جمالها وبهائها وحسن منظرها، ولعله اختار المشبه به وهو(الشمس) كي يتلاءم مع ظلام الليل، وكأنه يريد أن يقول: إن هذه الخمر اللذيذة بجمالها ولمعان لونها تنير ظلام الليل فتجعله ليلاً جميلاً منيراً ممتعاً.

ومن صوره البلاغية في الليل السعيد قوله:

وزائرةٍ زارتْ وقد هجم الدُّجى وكنتُ لميعادٍ لها مُتَرَقِّبا
ولم ترَ عيني ليلةً مثلَ ليلتي فيا سهري فيها لقد كنتَ طيِّبا
وما زَارَني حتى رأى الناسَ نُوَّما ورَاقَبَ ضَوْءَ البَدرِ حتى تَغَيَّبا[١٤٦]

صور الشاعر متعته بالليل من خلال لقاء الحبيب فيه، فقال (وزائرة زارت وقد هجم الدجى) أي أن محبوبته استغلت ظلام الليل وسكونه وستره لزيارة محبوبها، فصور ظلام الليل أثناء زيارة المحبوبة بقوله (وقد هجم الدجى)، وهذه استعارة مكنية فيها تشخيص للظلام، ، كما صور ليلته السعيدة بلقاء الحبيب بقوله (ولم ترَ عيني ليلةً مثلَ ليلتي)، وهي كناية عن جمال هذه الليلة ومتعتها، ثم صور مظهراً من

مظاهر الليل وهو السهر مع الحبيب في قوله (فيا سهري فيها لقد كنتَ طيِّبـــــا)، وهي استعارة مكنية فيها تشخيص للسهر، و صور مظهراً آخر من مظاهر الليل يتمثل في سكون الليل وهدوئه وستره وخفائه من خلال قوله: (وما زَارَني حتى رأى الناسَ نُوَّما)، وهي كناية عن سكون الليل وستره، وقوله (ورَاقَب ضَوْءَ البَدرِ حتى تَغَيَّبـــا)، كناية عن ظلام الليل وستره.

ويواصل البهاء صوره البلاغية في جمال الليل ومتعته بزيارة الحبيب له فنراه يقول[١٤٧]:

بروحي مَن قد زَارَني وَهوَ خائفُ ... كما اهتزَّ غُصْنٌ في الأراكةِ مائـدُ
وما زارَ إلا طارِقاً بَـعدَ هَـجْعَـةٍ ... وقد نامَ واشٍ يـتـقَّيـه وحـاسـدُ
فلمْ أرَ بـدْراً قَـبْـلَه باتَ خائـفـاً ... فَـهَـل كانَ يخشَى أنْ تَغَارَالفراقدُ[١٤٨]

ربط تصوير مظاهر الليل بزيارة الحبيب، فجاء في البيت الثاني بكناية بليغة للدلالة على سكون الليل وهدوئه وستره، أما بدر الليل وهو رمز الحسن والجمال، جعله مشبهاً به، كي يصور به جمال المحبوبة في قوله (فلم أر بدراً قبله بات خائفاً)، استعارة تصريحية، شبه المحبوبة الزائرة بالبدر و صور نجوم الليل الجميلة وهي تغار من المحبوبة التي تفوقها جمالاً وحسناً بقوله (فهل كان يخشى أن تغار الفراقد).

ويصور مظاهر الليل والتفكير في الحبيب بقوله:

رعيتُ نجومَ الليل من أجل أنهـــا ... على جيدها منها عُقُودٌ تُديرُهـــــا
وقد قيل إنَّ الطَّيف في النَّومِ زائـــرٌ ... فأينَ لطَرْفي نَوْمَةٌ يَستَعيرُهـــــا
أغار على الغُصْنِ الرَّطيبِ من الصَّبا ... وذَاك لأنّ الغُصْنَ قيلَ نَظيرُها[١٤٩]

صور مظاهر الليل في قوله (رعيت نجوم الليل)، وهي كناية عن سهره من أجل الحبيب والتفكير فيه، فكل من السهر والنجوم مظهر من مظاهر الليل التي استعان بها في بيان حاله مع الحبيب، كما صور النوم وهو مظهر من مظاهر الليل بقوله (وقد قيل إن الطيف في النوم زائر)، صورة جسَّم فيها النوم فجعله مكاناً للقاء طيف الحبيب، وشخَّص فيها الطيف فجعله إنساناً زائراً، ثم اختتم تصويراته بقوله (لعلي إذا نامت

بليل أزورها)، وهي كناية عن رؤيتها له وحلمها به، فالمنام بالليل يساعد الحبيبين على رؤية كل منهما لطيف الآخر.

ويقول في موطن آخر:

إنَّ ليلاً قد دجـا من شَعْـرِهِ ... فيه ما أحلى الضَّنى والسَّهَـــــرا
وصَباحاً قد بَدا من وَجْهه ... حَيَّر الألبـابَ لمَّا أسفـــــرا[١٥٠]

في قوله (إن ليلا قد دجا من شعره)، كناية عن سواد شعر المحبوبة وحسنه وجماله، فظلام الليل المعتم الذي هو مظهر من مظاهر الليل يتشابه مع شعر المحبوبة في سواده، كما صور السهر مع الحبيب بالشراب الحلو اللذيذ في قوله (ما أحلى الضنى والسهرا)، وصور وجه المحبوب بالصباح في البياض والحسن في قوله (وصباحا قد بدا من وجهه)، ويعد ذلك تشبيهاً مقلوباً، حيث إنه جعل الصبح يبدو من وجه المحبوب للمبالغة في جمالها وبياضها.

ننتقل إلى تصوير آخر للشاعر، يصور فيه ليلة سعيدة ممتعة، صور من خلالها مظاهر الليل المتنوعة فقال:

رقَّتْ فما يُثْبتُها حسنُ النظـــرْ ... فلم تزلْ حتى إذا الفجـرُ انفَجَـــرْ
وغَرِقَتْ منهُ النُّجومُ في نَهَـــرْ ... وأيقظَ النائمَ أنفاسُ السَّحَـــــرْ
وخمَّش النّسيمُ أغصانَ الشَّجـرَ ... وفتَّتت يـــدُ الصّبا مسكَ الزَهَـرْ
قُمنا وهلْ طابَ نعيمٌ واستَمَـرّ ... قد سَتَرَ الليلُ علينا وغَفَـــــرْ
وما لَذيذُ العَيشِ إلاّ ما استَتَـــرْ ... لليلِ عندي مِنَنٌ إذا اعنَكَـــــرْ
يُلحِفُني جنَاحُهُ عند الحَـــذَرْ ... كـمْ حاجـةٍ قضيتُ فيه ووَطَـــرْ
أوْدَعتُهُ سرَّ الهَوَى فما ظَهَـــرْ ... رقَّ عليَّ قَلبُهُ لمَّـا كَفَـــــرْ[١٥١]

في هذه الأبيات تصويرات بلاغية لمظاهر الليل المتنوعة، التي صورها الشاعر من خلال متعته بهذه الليلة، فبدأ تصويره بقوله (رقت فما يثبتها حسن النظر)، أي من رقتها وجمالها لم يدركها النظر، وظلت هذه الليلة في حسنها وجمالها حتى (إذا الفجر انفجر)، أي انبعث، فالفجر في آخر الليل كالشفق في أوله[١٥٢]، ولعله في تصويره للفجر

بالانفجار قد جسَّم الفجر، الذي شبهه بشئ قوي ينفجر، وحذف المشبه به وأبقى لازما له (انفجر) على سبيل الاستعارة المكنية للدلالة على قوة انبعاثه، ومن تصويراته الجميلة لمظاهر الليل قوله (وغرقت منه النجوم في نهر)، صور إشراق ضوء الفجر وانبعاثه بالنهر الكبير اللامع، كما صور نجوم الليل في ضياء الفجر بأناس غرقى يغرقون في هذا النهر الكبير الذي يتمثل في ضياء الفجر، وفي هذا التصوير تجسيم لضوء الفجر الذي صوره بالنهر، وتشخيص لنجوم الليل التي صورها بالناس الغرقى، وفي قوله (وأيقظ النائم أنفاس السحر)، تصوير بليغ للسحر في الليل، حيث شخصه فصوره بإنسان قوي له أنفاس قوية توقظ النائم للعبادة، وفي قوله (وخمش النسيم أغصان الشجر)، تصوير لمظهر آخر من مظاهر الليل وهو النسيم العليل، حيث شخصه فصوره بإنسان يخمش أغصان الشجر، والخمش هو الخدش في الوجه، والخموش: الخدوش[١٥٣] ، وصور ريح الصبا في الليل بقوله (وفتت يد الصبا مسك الزهر)، إنه شخصها فجعل لها يداً تفتت المسك وتنشره للدلالة على المتعة واللذة والجمال، كما صور ستر الليل بقوله (قد ستر الليل علينا وغفر)، شخص الليل فجعله إنساناً يستر عليه ويخفي أعماله للدلالة على خفاء الليل وستره، وفي قوله (وما لذيذ العيش إلا ما استتر)، كناية للدلالة على المتعة واللذة باللهو في الليل، وفي قوله (لليل عندي منن إذا اعتكر)، كناية أيضاً عن فضل الليل عليه في متعته وسعادته، فالليل- هنا- شخصه فجعله إنساناً له فضل كبير عليه، إذ منحه كثيراً من المنن التي منّها عليه من ستر وخفاء وهدوء وسكون وظلام ونجوم وقمر وغيرها، وفي قوله (يلحفني جناحه عند الحذر)، كناية عن ظلام الليل الذي يعد مظهراً مهماً من مظاهر الليل، وفي هذه الصورة جسم الليل فجعله طائراً كبيراً له جناح يغطيه ليظلم عليه المكان كي يستره ويخفيه، للدلالة على ستر الليل وخفائه وظلامه، وفي قوله (كم حاجة قضيت فيه ووطر)، الوطر هو الفوز والظفر بالشئ، والعبارة- هنا- كناية عن كثرة متاعه بالليل وسعادته، وفي قوله (أودعته سر الهوى فما ظهر)، صورة فيها تشخيص لليل الذي صوره بإنسان أمين يحافظ على سره ويكتمه، للدلالة على ستر الليل وخفائه الذي هو

مظهر من مظاهر الليل، وفي قوله (رقّ عليّ قلبه لمّا كفر)، صورة فيها تشخيص لليل الذي صوره بإنسان طيب القلب يحافظ على صاحبه فيغطيه ويستره بظلامه، ويخفيه عن أعين الناس كي يستمر في متعته ولذته وسعادته.

ولعل البدر أو القمر من أكثر مظاهر الليل تصويرا عند البهاء كسائر الشعراء السابقين له، فالبدر بجماله وتمامه وحسنه يعد وسيلة من وسائل الغزل في الحبيب فنراه يقول:

طَرْفي وطَرْفُ النَجمِ فيـــــه ... كب كلاهما ساهٍ وساهِـــــرْ
يَهنيكَ بَدرُكَ حاضِـــــرٌ ... يـــا ليتَ بَـدري كـــان حاضِـــرْ
حتـــى يَبِينَ لناظـــــري ... مَنْ منهما زاهٍ وزاهِـــــــرْ
بَدري أرَقُّ مَحَاسِنـــــــاً ... والفـــرْقُ مثلُ الصُّبـــحِ ظاهِـــرْ[١٥٤]

لقد خاطب الليل بمظاهره فقال (طرفي وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر)، تشبيه شبه فيه سهره بالليل من أجل الحبيب كسهر النجم، ومن خلال هذا التصوير شخص النجم فجعل له عيناً في قوله (وطرف النجم)، للدلالة على أن النجم الذي هو من مظاهر الليل يؤنسه ويعينه على السهر، كما شبه عينه في السهر بعين النجم في قوله (كلاهما ساهٍ وساهر)، وصور البدر الذي هو من أهم مظاهر الليل في قوله (يهنيك بدر حاضر)، كناية عن حسده لليل الذي يستمتع ببدره اللامع المنير الجميل، وكأنه يحقد على الليل ويحسده لاستمتاعه بضوء البدر، وفي قوله (ياليت بدري كان حاضر)، كناية عن شوقه الشديد لحضور المحبوبة، وقوله (بدري)، استعارة تصريحية شبه فيها الحبيب بالبدر وحذف المشبه وصرح بالمشبه به للدلالة على جمال المحبوبة وحسنها، ولعله بذلك استغل بدر الليل فجعله مشبهاً به لحسنه وجماله ولمعانه، ولم يكتفِ الشاعر بذلك، بل جاء يقارن في تصويره بين بدر المحبوبة وبدر الليل فقال (حتى يبين لناظري من منهما زاهٍ وزاهر)، كناية عن جمال المحبوبة وبياضها التي يقارنها ببدر الليل في لمعانه وبياضه وحسنه، وفي النهاية جعل الغلبة والتفوق لبدر المحبوبة على بدر الليل فقال (بدري أرق محاسناً والفرق مثل الصبح ظاهر)، تشبيه تمثيلي، شبه فيه الفرق بين

بياض المحبوبة وحسنها وجمالها وبين بدر الليل، بالصبح في ظهوره ووضوحه، للدلالة على جمال المحبوبة وبياضها.

ومازلنا مع البهاء في صوره البلاغية لمظاهر الليل التي يقرنها بالغزل في الحبيب فنراه يقول:

أيا قلبُ تَعرِفُ مَنْ قَد أتـــا ... كَ ويا عينِ تَدرينَ مَنْ قد حـضَرْ
ويا قَمرَ الأفقِ عُدْ راجِعـــاً ... فقد باتَ في الأرض عنـدي قَمَـرْ
ويا ليلَتي هَكَـذَا هَـكَـــذَا ... وباللهِ باللهِ قِفْ يـا سَحَـــــرْ
فكانتْ كما نَشْتَهي ليلـــةً ... وطالَ الحديثُ وطابَ السَّمَـــــرْ
ومَرَّ لنا من لَطيفِ العتـــا ... بـ عجائبُ ما مثلُها في السِّيَـــرْ
ورُحْنَا نَجُرُّ ذُيُولَ العَفَـــا ... فِ ونَسحَبُها فَـوْقَ ذَاكَ الأثَـــرْ
خَلَـوْنا ومـا بَينَنا ثَالِـــثٌ ... فأصْبَحَ عندَ النَّسيمِ الخَبَـــرْ[١٥٥]

لقد خاطب القلب والعين فأخبرهما بحضور المحبوبة إليه، ثم خاطب القمر في الليل فشخصه كإنسان يخاطبه قائلاً (ويا قمر الأفق عد راجعاً)، وكأنه يستغني عن قمر السماء ويريد منه ألاَّ يظهر، لأنه يملك قمر الأرض وهو المحبوبة، ولعله في ذلك استغل قمر الليل ليصور به جمال المحبوبة فقال (عندي قمر)، استعارة تصريحية، شبه فيها المحبوبة بالقمر وحذف المشبه وصرح بالمشبه به، للدلالة على جمال المحبوبة، كما صور الليلة الممتعة السعيدة بلقاء الحبيب بقوله (ويالليلتي هكذا هكذا)، تصوير شخص فيه الليلة كإنسانة يخاطبها بالبقاء، ويؤكد عليها ذلك بالتكرار اللفظي في قوله (هكذا هكذا)، للدلالة على كثرة متعته وسعادته بهذه الليلة، وفي قسمه المتمثل في قوله (وبالله بالله) تكرار غرضه التوكيد، والمقسم عليه- هنا- (السحر)، حيث إنه صور السحر بإنسان يخاطبه وأقسم عليه بالثبوت وعدم التحرك قائلاً له (قف يا سحر)، للدلالة على سعادته الزائدة في هذه الليلة التي لا يتمنى انتهاءها بنهاية وقت السحر، وفي قوله (وطاب السمر)، استعارة مكنية جسم فيها السمر، حيث شبه السمر مع الحبيب بثمر لذيذ طاب ونضج، للدلالة على لذة السمر مع الحبيب، واختتم الشاعر تصويراته بقوله

(فأصبح عند النسيم الخبر)، تصوير للنسيم الرقيق بالإنسان الأمين الذي يكتم السر ويحافظ عليه، والنسيم الرقيق مظهر من مظاهر الليل الذي حرص الشاعر على تصويره.

وفي تصوير بلاغي يقرن الشاعر تصوير مظاهر الليل بالغزل في الحبيب فنراه يقول:

سَلوا النَّجمَ يُخْبركُم بحالي في الدجى ... ولا تسألوا عَمَّا تَجِنُّ ضلُوعـــي
وَإنْ لاحَ بَرْقٌ فهوَ نارُ صَبابَتـــي ... وإنْ راحَ سَيْلٌ فهـوَ ماءُ دُمُوعي
فيا قَمَري مُذْ غِبْتَ أَوْحَشْتَ ناظِري ... لَعَلَّك ليـــلاً مُؤنِسي بطُلُـوعِ[١٥٦]

صور النجم فشخصه كإنسان يُسأل في قوله (سلوا النجم)، استعارة مكنية، وصور الدجى بقوله (بحالي في الدجى)، كناية للدلالة على شدة الظلام الذي يعيش، وصور البرق اللامع بقوله (وإن لاح برق فهو نار صبابتي)، تشبيه شبه فيه البرق بلمعانه بنار الصبابة الموقدة، وصور السيل بقوله (وإن راح سيل فهو ماء دموعي)، تشبيه للسيل بدموع عينه في غزارتها للدلالة على حاله الحزين، ويعد هذان التشبيهان تشبيهين مقلوبين للمبالغة في التصوير، فالتشبيه الطبيعي أن يشبه نار الصبابة بالبرق، ودموع العين بالسيل، وأمَّا القمر فجعله مشبهاً به، حيث شبه المحبوبة بالقمر في جمالها فقال (فيا قمري)، استعارة تصريحية، شبه المحبوبة بالقمر وحذف المشبه وصرح بالمشبه به للدلالة على جمال محبوبته.

وفي تصوير آخر قرن صورة القمر بالغزل في المحبوبة فقال:

عَشِقْتُ بَدراً ولا أُسَمِّـــي ... ما شِئْـتَ قُـلْ فيه بـدرُ تَمِّ
يا قَمَراً مُنذُ غابَ عَنِّـــي ... لـم يتَّصلْ بالسُّعـودِ نَجْمي[١٥٧]

صور جمال المحبوبة عن طريق بدر الليل في السماء، فقال (عشقت بدرا)، استعارة تصريحية، شبه فيها المحبوبة بالبدر في السماء وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، للدلالة على جمال المحبوبة ، فجعل بدر السماء مشبهاً به، ثم أكد جمال محبوبته ثانية عن طريق بدر الليل بقوله (بدر تم)، فتمام البدر كناية عن كمال الجمال والحسن، وفي قوله (يا قمراً)، تورية بديعية تشير إلى معنيين، القريب:

القمر في السماء أثناء الليل، والبعيد: المحبوبة الجميلة- وهو المقصود- ، أمّا قوله: (نجمي)، فهو كناية عن الحظ، فالنجم في السماء بارتفاعه وعلوه يشير إلى الحظ السعيد.

وقال في تصوير آخر:

زارَ والناسُ نِيَـــــــــامُ ... فَعَلَـــى البَـدْرِ السَّـــــــلامُ
زائِرٌ فيه حَيَـــــــــاءٌ ... ووَقَـارٌ واحتِشَـــــــــامُ
زورَةٌ أوجَبَها لـــــــــي ... منـــــــــهُ وُدٌّ وذِمَـــــــامُ
أتُرَى كانَتْ مَنَامـــــــــاً ... حَبَّـذا ذاك المَنَـــــــــامُ
فَلَثَمْـــتُ البَدْرَ فـــي جُنْـــ ... ـحِ الـدُّجَى وهـوَ تَمَـــــامُ[١٥٨]

استخدم الشاعر مظهر الليل الذي يتمثل في السكون والستر، فراح يصور زيارة الحبيب التي ساعده فيها الليل بسكونه وستره فقال (زار والناس نيام)، وعندما جاءته المحبوبة أغنته بجمالها عن بدر الليل فقال (فعلى البدر السلام)، كناية عن جمال محبوبته، ولا شك أن لقاء الحبيب سواء أكان في السهر بالليل، أم في المنام، فإن كليهما يسعد المحب ويمتعه ويجعل ليله سعيداً ممتعاً، ومن ثم صور البهاء ذلك فقال (أترى كانت مناما حبذا ذاك المنام)، وأخيراً استعان الشاعر بمظهرين متضادين من مظاهر الليل كي يبرز المعنى ويقويه، والمظهران هما: البدر والظلام، ولعل المظهرين- هنا- زادا من جمال غزل الشاعر في قوله (فلثمت البدر في جنح الدجى)، استعارة تصريحية، شبه فيها المحبوبة بالبدر وحذف المشبه وصرح بالمشبه به، وزاد من جمال هذا التصوير قوله (في جنح الدجى)، حيث إن البدر لا يظهر جماله وضياؤه إلا في الظلام، وبذلك يبرز جمال محبوبته وحسنها من خلال هذا التصوير .

وفي تصوير بليغ ربط البهاء تصوير مظاهر الليل بالمدح قائلاً[١٥٩]:

وسَرَيتُ في ليلٍ كأنّ نُجومَـــــــه ... مـــــن فَرْطِ غَيرَتِها إليَّ تُحَـدِّقُ
حتى وَصَلتُ سُرَادِقَ المـــلكِ الذي ... تَقِفُ المُلُوكُ ببابـــهِ تَستَـــرْزِقُ
فإليكَ يا نَجْـــمَ السّمـــاء فإنّنـــــي ... قـــد لاحَ نجمُ الدين لي يتألَّـــقُ[١٦٠]

صور نجوم الليل وهو سائر لزيارة الممدوح بأنها تغار وتحسده وتحقد عليه فقال (كأن نجومه من فرط غيرتها إليّ تحدق)، تصوير فيه تشخيص للنجوم، حيث صورها بأناس لها عيون تحدق وتنظر بحسد إليه، للدلالة إلى سمو مكانة الممدوح، ثم صور الممدوح (نجم الدين) عن طريق تصويره لنجم السماء، فقرن تصويره لنجم الدين (الممدوح) بنجم السماء، ثم جعل من خلال هذا التصوير يتفوق نجم الممدوح على نجم السماء، فقال (فإليك يا نجم السماء)، كناية عن استغنائه بنجم الممدوح عن نجم السماء، للدلالة على سمو مكانة الممدوح وعلو منزلته، وفي قوله (وقد لاح نجم الدين لي يتألق)، كناية للدلالة على ضياء الممدوح وإشراقه.

ويقول في مدح الركب:

وَرَكْبٍ كالنُّجومِ على نُجـــومِ مَرَقْنَ من الفَلاةِ بهم مُرُوقَـــــــا
سَرَينَ بهم كأنَّهم نَشَـــــــاوى علـــى الأكـــوارِ قـــد شربوا رَحِيقا
وَضَوْءُ الفَجرِ مثلُ النَّهرِ جـــــــارٍ تَرَى بَدرَ الدُّجى فيه غَرِيقـــــا[١٦١]

صور الركب بالنجوم في قوله (وركب كالنجوم على نجوم)، تشبيه للركب بنجوم السماء للدلالة على سموها وعلوها، ثم أتى من خلال مدحه بأجمل صورة في البيت الأخير تتمثل في قوله (وضوء الفجر مثل النهر جار)، تشبيه تمثيلي، شبه ضوء الفجر كالنهر الجاري في لمعانه واتساعه، ثم صور بدر الظلام بإنسان غريق في هذا النهر في قوله (ترى بدر الدجى فيه غريقا)، للدلالة على تداخل الليل بالنهار كما صوره الإسلام.

ونراه في الهجاء يقول:

ورقيبٍ عَدِمتُهُ من رقيـــــــبٍ أسودِ الوَجهِ والقَفَا والصِّفـــــــاتِ
هوَ كالليلِ في الظَّلامِ وعَنـــــدي هوَ كالصُّبحِ قاطعُ اللّـــــــذّاتِ[١٦٢]

إنه استعان بظلام الليل فجعله مشبهاً به، كي يشبه به المهجو في قوله (هو كالليل)، تشبيه شبه فيه المهجو بالليل في ظلامه، للدلالة على سواد وجهه وأفعاله، ثم شبهه بالصبح الذي يقطع لذات سمر الليل، للدلالة على قبح المهجو.

ونراه في الوصف يقول:

شَكَتْتي لكلِّ النَّاسِ وهيَ بهيمـــــةٌ ولكِنْ لها حالٌ فصيحٌ كَلامُهـــــا
إذا خَرَجتْ تحتَ الظَّلامِ فلا تُرَى من الضَّعفِ إلاّ أن يُصَكَّ لجامُها
وليستْ تَراها العَينُ إلاّ عَبَـــــاءةً يُشَدُّ عَلَيها سَرْجُها وحِزامُها[١٦٣]

إنه صور ظلام الليل المعتم عن طريق وصف فرسة سوداء فقال (إذا خرجت تحت الظلام فلا ترى)، كناية عن شدة ظلام الليل وسواد لون الفرسة، وقال (وليست تراها العين إلا عباءة)، كناية أيضاً عن ظلام الليل.

أكتفي بهذه النماذج الشعرية التي وضحت الدراسة من خلالها تصويرات البهاء البلاغية لليل ومظاهره.

الخاتمة

وبعد..، فهذا بحث بعنوان: (تصوير الليل في شعر بهاء الدين زهير)، قدمت من خلاله تمهيداً وثلاثة مباحث.

التمهيد: تعرفنا منه على الليل وأوقاته وسماته وألفاظه ومصطلحاته الخاصة عند العرب.

المبحث الأول: قام بدراسة المؤثرات التي أثرت على شعر البهاء زهير في تصويره لليل، والتي انحصرت في مؤثرين مهمين.

أولهما: أثر التصوير الإسلامي لليل – المتمثل في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف– على تصوير الليل في شعر البهاء زهير، من حيث وصف القرآن الكريم لليل بالظلام والسكون والهدوء والستر والخفاء وتداخله مع النهار، ومكانته السامية في السنة النبوية من حيث العبادة والقيام والتهجد والذكر والدعاء وتلاوة القرآن وغيرها.

وثانيهما: أثر تصوير الليل عند الشعراء السابقين للبهاء، على تصوير الليل في شعر البهاء. من حيث تصويرهم لليل بالقصر وسرعة مروره عند سعادتهم وتمتعهم بالمحبوب، وتصويرهم لليل بالطول وبطء مروره عند همومهم وتفكيرهم، ثم تصويرهم لمظاهر الليل المتنوعة من قمر ونجوم وظلام وسكون وغيرها.

المبحث الثاني: قام بدراسة وحصر أهم الرؤى الفنية التي رآها البهاء في الليل من خلال تصويره الشعري لليل، والتي جاءت في خمس رؤى فنية تتمثل في : اغتنام الليل بالعبادة، وجمال الليل بمظاهره، والليل يستر والصبح يفضح، والليل وسيلة للتلذذ والصبح قاطعها، ثم الليل مخيف مرعب.

المبحث الثالث: قام بحصر ودراسة الصور البلاغية التي جاءت في شعر البهاء من خلال تصويره البلاغي لليل، والتي تمثلت في الصور البيانية المتنوعة من تشبيهات واستعارات وكنايات، والفنون البديعية من جناس واقتباس وتورية وطباق ومقابلة، والأساليب البلاغية المختلفة من استفهام ونداء وتوكيد وغيرها.

وبينت الدراسة أن البهاء زهير قرن تصويره لليل ومظاهره بأغراض الشعر المختلفة، كالمدح والهجاء والغزل والوصف، و بينت أيضاً أن البهاء زهير تأثر في تصويره البلاغي لليل بمن سبقوه من الشعراء الذين قاموا بتصوير الليل في أشعارهم. كما قامت

الدراسة بتحليل الصور البلاغية المتنوعة- في تصوير البهّاء لليل- من استعارات وتشبيهات وكنايات وفنون بديعية وغيرها.

وأخيراً توصلت الدراسة إلى أهم النتائج التي أوجزها فيما يأتي:

ـــ أن البهاء زهير شاعر جيد لا يقل في تصويره لليل شاعرية وبلاغة عن غيره من الشعراء.

ـــ أن لليل ألفاظاً ومصطلحات مهمة عند العرب، كانوا يستخدمونها في حوارهم وكلامهم وأمثالهم وأقوالهم.

ـــ لليل مكانة سامية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ـــ التصوير الإسلامي لليل له أثر قوي على تصوير البهاء لليل في شعره.

ـ تصوير الشعراء السابقين لليل له أثر قوي على تصوير الليل في شعر البهاء.

- للبهاء رؤى فنية مهمة في الليل يستفيد من بعضها الإنسان في حياته.

ـــ أن البهاء جاء بكثير من ألوان البلاغة في تصويره لليل من خلال شعره.

ـــ أن تصويرات البهاء لليل كانت تختلف باختلاف المقام، فإذا كان المقام هماً وغماً أو حزناً وألماً وسهراً في التفكير، كان يصور الليل بطول وقته وقسوته وبطء مروره، وإذا كان المقام سروراً وسمراً وسعادة بشئ ما، كان يصور الليل بقصر وقته ومتعته وسرعة مروره.

ـــ أن البهاء زهير صور كثيراً من مظاهر الليل في شعره، كالقمر والنجوم والبرق والظلام والستر والخفاء والسكون.

ـــ أن البهاء زهير قرن تصويره لليل في شعره بأغراض الشعر المختلفة، كالمدح والهجاء والغزل والوصف.

هذا والله تعالى أسأل أن أكون قد أصبت أو وفقت في هذا العمل المتواضع، فإن كان ذلك فإنما التوفيق كله من الله تعالى وحده، فلله الحمد في الآخرة والأولى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين- الغزالي- تحقيق أبي حفص- دار الحديث للنشر-القاهرة ١٩٩٨م.

٢- أدب الكاتب- ابن قتيبة- تحقيق علي فاعور- ط١- دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٨م.

٣- الأغاني- أبو الفرج الأصفهاني- ط٢- دار الفكر العربي للنشر- بيروت ١٩٩٥م.

٤- بشار بن برد- دراسة وشعر- د.محمد الصادق عفيفي- دار الرائد العربي للنشر- بيروت.

٥- تاريخ الأدب العربي- كارل بروكلمان- ترجمة د.رمضان عبد التواب- ط٣- دار المعارف- القاهرة ١٩٨٣م.

٦- تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- ط٢- دار الحديث للنشر- القاهرة ١٩٩٠م.

٧- جواهر البلاغة- السيد الهاشمي- دار ابن خلدون- الإسكندرية.

٨- الحيوان- الجاحظ-ط٣- دار صعب للنشر- بيروت ١٩٨٢م.

٩- ديوان ابن الرومي- تحقيق د. حسين نصار- طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة١٩٩٤م

١٠- ديوان ابن المعتز- شرح ميشيل نعمان- دار صعب للنشر- بيروت ١٩٦٩م .

١١- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي- تحقيق محمد عبده عزام- ط٣- دار المعارف بمصر.

١٢- ديوان أبي نواس- تحقيق ريفالد فاغنر- الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر.

١٣- ديوان الأخطل- شرح مهدي محمد ناصر- ط١- دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٦م.

١٤- ديوان البحتري- تحقيق حسن كامل الصيرفي- ط٣- دار المعارف- القاهرة.

١٥- ديوان المعاني- أبو هلال العسكري- مكتبة القدسي- القاهرة.

١٦- ديوان النابغة الذبياني- شرح عباس عبد الساتر- ط١- دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٦م.

١٧- ديوان امرئ القيس- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ط٤- دار المعارف- القاهرة.
١٨- ديوان بشار بن برد- لجنة التأليف والنشر- القاهرة ١٩٥٠م.
١٩- ديوان بهاء الدين زهير- دار صادر للنشر- بيروت ١٩٨٠م.
٢٠- ديوان جرير- دار صادر للنشر- بيروت.
٢١- ديوان عمر بن أبي ربيعة- دار القلم للنشر- بيروت
٢٢- زهر الآداب وثمر الألباب- أبو اسحق الحصري القيرواني- تحقيق د. يوسف علي- ط١- دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٧م.
٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ابن العماد- تحقيق محمود الأرناءوط- ط١- دار ابن كثير للنشر- بيروت١٩٩١م.
٢٤- صحيح مسلم بشرح النووي- تحقيق عصام الصبابطي وآخرين- ط١- دار الحديث للنشر- القاهرة ١٩٩٤م.
٢٥- العقد الفريد- ابن عبدربه- تحقيق عبد المجيد الترحيني- دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٧م.
٢٦- الفروق في اللغة- أبو هلال العسكري- ط٤- دار الآفاق الجديدة- بيروت ١٩٨٠م.
٢٧- في ظلال القرآن الكريم- سيد قطب- ط١١- دار الشروق- بيروت ١٩٩٣م.
٢٨- لسان العرب- ابن منظور- ط٢- دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٩٩٧م.
٢٩- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان- محمد فؤاد عبد الباقي- دار الحديث- القاهرة ١٩٨٦م.
٣٠- مجمع الأمثال- الميداني- تعليق نعيم زرزور- ط١- دار الكتب العلمية- بيروت.
٣١- معدم البلدان- ياقوت الحموي- تحقيق فريد عبد العزيز الجندي- ط١- دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٠م.
٣٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان- ابن خلكان- تحقيق د. إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت.

الهوامش

[1] – الغوغاء: الصوت والجلبة، قال الحارث بن حلزة اليشكري:
أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم غوغاء
– انظر لسان العرب– ابن منظور– ١٥١/١٠– مادة(غوى)– دار إحياء التراث العربي– بيروت
[2] – لسان العرب– ١٢/ ٣٧٨ – مادة (ليل)
[3] – الفروق في اللغة– أبو هلال العسكري– ص٢٦٦– دار الآفاق الجديدة– بيروت
[4]– لسان العرب – ٣٧٨/١٢ – مادة (ليل)
[5] – نفسه– ٣٨٩/١٢ – مادة (ليل)
[6]– نفسه– ٢٥٥/٧– مادة (شفق)
[7] – في ظلال القرآن الكريم– سيد قطب– ٢٢٤٦/٤– دار الشروق– بيروت
[8]– لسان العرب– ٦٩/١٠– مادة (غسق)
[9]– نفسه– ١٩٠/٦– مادة (سحر)
[10] – اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان– محمد فؤاد عبد الباقي– ١٢٧/١–دار الحديث– القاهرة
[11] – واسط:قرية قرب الفرات، والرباب: اسم امرأة
[12] – ديوان الأخطل– ص٢٤٥– دار الكتب العلمية– بيروت
[13]– لسان العرب– ١٠١/١٠– مادة (غلس)
[14] – أدب الكاتب– ابن قتيبة– ص٧١– دار الكتب العلمية– بيروت
[15] – سُميت غرراً، لأن بياضها قليل كغرة الفرس
[16]– سُميت نفلاً، لأن الغرر كانت الأصل وصارت زيادة النفل زيادة على الأصل
[17]– أدب الكاتب– ص٧٢ ،٧٣
[18] – زهر الآداب وثمر الألباب– الحصري القيرواني– ١٤٦/٢، ١٤٧– دار الكتب العلمية– بيروت
[19]– نفسه– ٢٧٩/١
[20]– أدب الكاتب– ص٧٣
[21] – لباس بني العباس: اللباس الأسود
[22]– زهر الآداب وثمر الألباب– ١٤٧/٢
[23]– نفسه– ١٤٨/٢
[24]– نفسه– ١٤٨/٢
[25]– نفسه– ٢٧٩/١
[26] – انظر مجمع الأمثال– الميداني– ٦٢/١– دار الكتب العلمية– بيروت
[27]– نفسه– ٨٦/١
[28]– نفسه– ٩٠/١
[29]– نفسه– ٩١/١
[30]– نفسه– ٩٧/١
[31]– نفسه– ١٤٠/١
[32]– نفسه– ١٤٥/١
[33]– نفسه– ١٨٤/١
[34]– نفسه– ١/ ٢٠٩
[35]– نفسه– ٢٣٢/١
[36]– نفسه– ٢٣٥/١
[37]– نفسه– ٣٠٩/١
[38]– نفسه– ٣٢٦/١
[39]– نفسه– ٣٣٢/١
[40]– نفسه– ٥٦٠/١
[41] – تفسير القرآن العظيم– ابن كثير– ٣٠٩/٣– دار الحديث– القاهرة

[42]- صحيح مسلم بشرح النووي- ٧/٨٠- باب (باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلا)- دار الحديث- القاهرة
[43]- نفسه- ٧/٧٨- (باب مراعاة مصلحة الدواب في السير)
[44]- نفسه-٧/٧٩
[45]- اللؤلؤ والمرجان- ١/١٣٧- (باب الصلاة في الرحال)
[46]- الحيوان- الجاحظ- ٤/١٧٩- دار صعب- بيروت
[47]- صحيح مسلم بشرح النووي- ٢/١٤٥- (كتاب الطهارة)
[48]- نفسه- ٣/٢٩١- (كتاب صلاة المسافرين)
- هذا المثل يُضرب في التغابي والتغاضي عن الشئ، وقيل معناه: دعني واذهب عني، وقيل معناه: لا تربع على نفسك، وإذ لم يربع على نفسه فقد سار عنها، وقيل معناه: العرب تزيد في الكلام(عن) فتقول: دع عنك الشك، أي دع الشك، وقيل
[49]أرادوا بعنك لاأبا لك أي سر لاأبا لك على عادتهم في الدعاء على الإنسان من غير إرادة الوقوع- مجمع الأمثال٢/٤٣٢
[50]- انظر مجمع الأمثال- ١/٤٣١، ٤٣٢
[٥١].- هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيي بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي العتكي الصالحي الفاتكي المصري الأزدي الكاتب، الملقب بهاء الدين الكاتب، ينتهي بنسبه إلى المهلب بن أبي صفرة العاتكي أو المكي (انظر- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ابن العماد- تحقيق محمود الأرناءوط- ٧/٤٧٦- دار ابن كثير- بيروت، ومقدمة ديوان بهاء الدين زهير- ص٥ وما بعدها-"دار صادر.- بيروت)، ولقد أشار ابن خلكان إلى نسبه فقال: " وهو الذي أملى عليَّ نسبه على هذه الصورة، وسطّرت هذا الفصل وهو في قيد الحياة منقطعاً في بيته بالقاهرة بعد موت مخدومه، طيب الله قلبه، وأجراه على أجمل عاداته، وأخبرني أن نسبته إلى المهلب بن أبي صفرة" (انظر- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ابن خلكان- تحقيق د.إحسان عباس- ٢/٣٣٧- دار الثقافة- بيروت)، "كان بهاء الدين زهير من فضلاء عصره، وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً، ومن أكبرهم مروءة، لما شبَّ توجه إلى مصر واتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب ابن السلطان الملك الكامل بالديار المصرية، وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية، وأقام بها إلى أن ملك الملك الصالح دمشق، فانتقل إليها في خدمته، وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق، وخانه عسكره وهو على نابلس وتفرّق عنه، وقبض عليه الملك الناصر صاحب الكرك واعتقله بقاعة الكرك، فأقام بهاء الدين زهير بنابلس محافظة لصاحبه، ولم يتصل بخدمة غيره، ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية، وقدم إليها في خدمته وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة" (انظر- المرجع نفسه- ٢/ ٣٣٢)، كان البهاء زهير من فضلاء عصره، واتسم بمكارم الصفات كالوفاء والصدق والأمانة ودماثة الأخلاق وكرم النفس ولطف العشرة"[٥١]، كما اتسم بحب الوطن فقال عنه بروكلمان :" وقد تعلق وهو المصري بحب وطنه إلى درجة أنه لم يشعر يوماً بالرضا في الغربة، وهو يتذكر دائماً بنفور شديد إقامته في آمد، وهولا يستخدم قالب القصيدة إلاّ في مدح السلطان والرؤساء"(انظر- تاريخ الأدب العربي- كارل بروكلمان- ٥/٧٩- دار المعارف- القاهرة)، ولقد نقل إلينا ابن خلكان أهم الصفات التي اتصف بها شاعرنا فقال :" وكنت يومئذ مقيماً بالقاهرة، وأود لو اجتمعت به لما كنت أسمعه عنه، فلما وصل اجتمعت به ورأيته فوق ما سمعت عنه من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا، وكان متمكناً من صاحبه، كبير القدر عنده، لا يطلع على سره الخفي غيره، ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير، ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته"(وفيات الأعيان- ٢/٣٣٢)، لقد ولد البهاء زهيرعام٥٨١هـ الموافق ١١٨٥م، ولقد أكد ذلك ابن العماد في قوله :" إن البهاء زهير ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وكتب الإنشاء للملك الصالح نجم الدين ببلاد المشرق، فلما تسلطن بلغه أعلى المراتب"(شذرات الذهب- ٧/٤٧٦)، كما ذكر ابن خلكان تاريخ ومكان ميلاد البهاء في قوله:" وأخبرني بهاء الدين أيضاً أن مولده في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمكة حرسها الله تعالى، وأخبرني مرة أنه ولد بوادي نخلة، وهو بالقرب من مكة" (وفيات الأعيان- ٢/٣٣٧)، أما وفاته فكانت بسبب المرض،أشار إلى ذلك ابن خلكان في قوله :" ثم حصل بالقاهرة ومصر مرض عظيم، لم يكد يسلم منه أحد، وكان حدوثه يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستمائة (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)، وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه منه ألم، فأقام أياماً ثم توفى قبيل المغرب يوم الأحد رابع ذي القعدة من السنة المذكورة، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بالقرافة الصغرى بتربته بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه في جهتها القبلية"(المرجع نفسه- ٢/٣٣٠)، ولقد كان للبهاء زهير شعر جميل في أغراض متنوعة، كالغزل والمدح والرثاء والهجاء والوصف، وأكثر شعره في الغزل وأقله في باقي الأغراض، ومعظم شعره رقيق ولطيف، وعاطفته قوية، وأكثر أوزان شعره الخفيف، فيكاد لا يُسمع بيت من أبياته إلا عرف أنه لزهير لخفته وسهولته، حتى إن أكثر شعره يوشك أن يكون نثراً مقفى، ولذلك كان شعره رقيقاً لطيفاً خفيفاً، سريع الوقع في القلوب والأذان، سهل الألفاظ(مقدمة ديوانه- ص١٠)، قال ابن خلكان في سمات شعره :" وشعره كله لطيف، وهو كما يقال: السهل الممتنع، وأجازني رواية (ديوانه) وهو كثير الوجود بأيدي الناس"(وفيات الأعيان- ٢/٣٣٦ ، وشذرات الذهب- ٧/٤٧٨)، وقال بروكلمان في شعره :" كان لا يستخدم قالب القصيدة إلا في مدح السلطان والرؤساء، غير أن قيمته تظهر في قصائده الغنائية القصيرة العديدة، وقصائد المزاح التي تضم أيضاً بعض

الألغاز، وإن شعره المتحرر من كل القيود الشعر القديم والمتعلق بمصر تعلقاً تاماً لا يزال دون شعر جميع الشعراء القدامى يجد صدى في نفوس المثقفين المحدثين في هذا البلد" تاريخ الأدب العربي- ٧٩/٥)، أما غزله فقد كان عاطفياً متعمداً فيه الصناعة والبديع، حيث إنه استخدم فيه كثيراً من أنواع البديع كالجناس والتورية والاكتفاء وائتلاف الألفاظ مع المعاني في رقتها وقوتها، وفي شعره ترجيع جميل ، وهو مما يزيد الشعر موسيقى لذيذة كقوله :

ويروقني الغصن الرطيب ... بـ وكيف بالغصن الرطيب

ومن غزلياته المملوءة بالعاطفة والرقة قصيدته التي مطلعها:

غيري على السلوان قادر ... وسواي في العشاق غادر

أسلوبه فيها أشبه بشعر ابن الفارض وأسلوبه (انظر مقدمة ديوان البهاء زهير- ص٧، ٨)، وثمة قصائد كثيرة من غزل البهاء زهير توضح أسلوبه في الغزل. وأما مدحه فكان يحذو في مدحه حذو السلف، ويستغني بمعانيهم عن إجهاد النفس للإتيان بمعنى مبتكر، بيد أنه كان لا يغالي في صفات ممدوحه، حيث إنه كان يختلف عن معاصريه الذين ينافقون في مدحهم من أجل الكسب والعطايا. قال في مدح الأمير مجد الدين إسماعيل:

لك في الأرض دعاء ... سدَّ آفاق السماء
لم يكن ينسى لك الله ... ه ابتهال الفقراء
يسَّر الله للقيا ... كَ سرور الأولياء

وأما رثاؤه فإنه اتسم بقوة العاطفة التي تصور لوعته وحزنه على المرثي، وأرق مراثيه مرثيته التي قالها في ابنه، فإن ما فيها من توجع وتفجع ولهفة يذكرنا برثاء ابن الرومي لولده الأوسط ومن قوله فيها:

فيا من غاب عني وهو روحي ... وكيف أطيق عن روحي انفكاكا
تموت ولا أموت عليك حزنا ... وحق هواك خنتك في هواك
أرى الباكين فيك معي كثيراً ... وليس كمن بكى من قد تباكى

وأما هجاؤه فليس للبهاء شعر كثير في الهجاء، وإنما له بعض مقاطع هجا فيها أناساً كان يستثقل ظلهم، ومن ألطف شعره الهجائي هجاؤه لفرس يظهر أنه كان يستقبح ركوبها فقال فيها:

وفرس على المساوي ... كلها محتوية
مستقبح ركوبها ... مثل ركوب المعصيه

(انظر المرجع نفسه ص٩، ١٤)

وأخيراً وصفه فلقد كان البهاء مغرماً بالطبيعة الحية أو الصامتة، فوصف الكثير منها، حيث إنه وصف الخمر ومجالسها ولألأتها في الكأس، كما وصف الساقية والنديم بما وصفهما به الشعراء القدامى:

خذ فارغاً وهاته ملآنا ... من قهوة قد عتقت أزمانا

وكان شغوفاً بالطبيعة فوصف البساتين والرياض والأشجار الأثمار والخضرة والندى وغيرها، قال في النسيم العليل:

هبَّ النسيمُ عليلاً ... وَهْوَ النسيمُ الصَّحيحُ

(انظر وفيات الأعيان- ٣٣٤/٢ ، ٣٣٥)

[52]- ديوان البهاء- ص٧٠
[53]- صحيح مسلم- ٤٦٨/٢- (كتاب الصلاة)
[54]- ديوان البهاء- ص١٢٣
[55]- إحياء علوم الدين- الغزالي-٥٠١/١- دار الحديث- القاهرة
[56]- ديوان البهاء- ص١٨٤
[57]- نفسه- ص٨٦
[58]- إحياء علوم الدين- ٥٠٠/١
[59]- ديوان البهاء- ص٢٦١
[60]- نفسه- ص٧٢
[61]- نفسه- ص١٥٤
[62]- نفسه- ص٨٩
- يقول: اتركيني يا أميمة أعاني الألم والليل الطويل، فهذا الليل لا ينقضي ولا تزول نجومه، وإن الليل الطويل جدد همومه وأعادها بعد أن كادت تزول
[63]
[64]- انظر ديوان النابغة الذبياني- ص٢٩- دار الكتب العلمية- بيروت
- يشبه الليل بموج البحر في تراكمه وشدة ظلمته وتتابعه، كما يصور أن الليل اشتمل عليه بأنواع الهموم ليختبر ما عنده من الصبر والجزع، ثم يطلب من الليل أن ينكشف ويأتي الصبح مع أن الصبح ليس بخير منه، لأن همومه دائمة في الليل والصبح.
[65]

[66]- انظر ديوان امرئ القيس- ص١٨، ١٩- دار المعارف- القاهرة
[67]- زهر الآداب- ١٤٥/٢
[68]- ديوان البهاء- ص٦٢
[69]- نفسه- ص٩٠
[70]- نفسه- ص٩٩
[71]- نفسه- ص١٠٥
[72]- ديوان البهاء- ص٣٤٠
[73]- الأغاني- الأصفهاني-٤٣/١٢- دار الفكر- بيروت
[74]- ديوان المعاني- أبو هلال العسكري- ٣٤٧/١- مكتبة القدس- القاهرة
[75]- نفسه- ٣٤٧/١
[76]- ديوان البهاء- ص٢٥٢
[77]- ديوان ابن الرومي- ٦٩٢/٢- الهيئة المصرية العامة للكتاب
[78]- ديوان جرير- ص٤٩٢- دار صادر- بيروت
[79]- ديوان بشار بن برد- ١٦٠/٣- لجنة التأليف- القاهرة
[80]- نفسه- ١٥٥/٣
[81]- الأغاني- ١٤٣/٣
[82]- ديوان بشار-١٦٣/١
[83]- ديوان ابن المعتز- ص٣٤٨- دار صعب- بيروت
[84]- نفسه- ص٣٥١
[85]- ديوان المعاني- ٣٥٠/١
[86]- ديوان البهاء- ص٥٢
[87]- نفسه-ص٦٩
[88]- نفسه- ص٤٢
[89]- نفسه- ص١١٨
[90]- نفسه- ص٢٠٢
[91]- الشموع من النساء: المزاحة الضحوك اللعوب
[92]- زهر الآداب- ٢٧٧/١
[93]- ديوان المعاني- ٣٥١/١ ،و زهر الآداب- ٢٧٧/١
[94]- ديوان المعاني- ٣٥١/١
[95]- ديوان البهاء- ص١٤٠
[96]- نفسه- ص١٢٩
[97]- نفسه- ص٢١٢
[98]- نفسه- ص٤٢
[99]- نفسه- ص١١٤
[100]- نفسه- ص١٣٩
[101]- نفسه- ص١٩٨
[102]- ديوان عمر بن أبي ربيعة- ص١٨- دار القلم- بيروت
[103]- نفسه- ص٢٠١
[104]- بشار بن برد- دراسة وشعر- د.محمد الصادق عفيفي- ص١١٨- دار الرائد- بيروت
[105]- ديوان البحتري- ٥٦١/١- دار المعارف- القاهرة
[106]- ديوان أبي نواس- ١٣٧/٣- الهيئة العامة لقصور الثقافة
[107]- ديوان أبي تمام- ٣٠/٢
[108]- ديوان البهاء-ص١٢٣
[109]- قال هذه القصيدة وهو يمدح السلطان الكامل ناصر الدين أبا الفتح محمد ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب، ويمدح جيشه ويذكر انتزاعه ثغر دمياط من الإفرنج- انظر ديوانه- ص١٢١

- قال هذه القصيدة وهو يمدح السلطان الصالح نجم الدين أيوب أخا السلطان الملك السعود صلاح الدين ابن الملك الكامل، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة للهجرة- انظر ديوانه- ص٢٢٤ [110]
- نفسه- ص٢٢٥ [111]
- نفسه- ص٢٣٤ [112]
- نفسه- ص٤٨ [113]
- نفسه- ص٢٩٧ [114]
- ديوان المعاني- ٢٤٣/١ [115]
- العقد الفريد- ابن عبد ربه-٣٥٩/٢- دار الكتب العلمية- بيروت [116]
- ديوان البهاء- ص٧٠ [117]
- إحياء علوم الدين- ٤٨٠/١ [118]
- نفسه- ص٥٥ [119]
- منبج: بالفتح ثم السكون وباء موحدة مكسورة وجيم، وهو بلد قديم، قال ياقوت الحموي:" ما أظنه إلا رومياً، وذكر بعضهم أن أول من بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها (من به) أي أنا أجود، فعربت فقيل له منبج، والرشيد أول من أفرد العواصم وجعل مدينتها منبج، وأسكنها عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، وهي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض، كان عليها سور مبني بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ،.- انظر معجم البلدان- ياقوت الحموي- ٢٣٨/٥- دار الكتب العلمية- بيروت. [120]
- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي- ١٨١/٢- دار المعارف- مصر [121]
- زهر الآداب- ٢٧٨/١ [122]
- ديوان ابن المعتز- ص٣٦٠ [123]
- ديوان البهاء- ص٧٢ [124]
- نفسه- ص١٥٤ [125]
- إحياء علوم الدين- ٤٩٠/١ [126]
- نفسه- ص١٤٠ [127]
- نفسه- ص٤٨ [128]
- نفسه- ص١٢١ [129]
- نفسه- ص٨٩ [130]
- جواهر البلاغة- السيد الهاشمي- ص٣٢٣- دار ابن خلدون [131]
- ديوان البهاء- ص٩٠ [132]
- نفسه- ص٩٩ [133]
- نفسه- ص١٥٦ [134]
- نفسه- ص٣٤٠ [135]
- نفسه- ص٥٢ [136]
- نفسه- ص١٢٩ [137]
- نفسه- ص١٥٧ [138]
- نفسه- ص١٥٤ [139]
- لسان العرب- ٤٣/١٠- مادة(غرر) [140]
- انظر جواهر البلاغة- السيد الهاشمي- ص٢٠٢- دار ابن خلدون- الإسكندرية [141]
- نفسه- ص٢١٨ [142]
- لسان العرب- ٣٨٥/٣- مادة(حور) [143]
- نفسه- ٩٥/٧- مادة(شرق) [144]
- ديوان البهاء - ص١١١ [145]
- نفسه- ص ٤٢ [146]
- نفسه-ص١٠٠ [147]
- الفراقد: الواحد فرقد: وهو نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر أخفى منه فهما فرقدان [148]

[149]-ديوان البهاء- ص١١٤
[150]- نفسه- ص١٣٩
[151]- نفسه- ص١٥٤، ١٥٥
[152]- انظر لسان العرب- ١٠/١٨٧- مادة (فجر)
[153]- نفسه- ٤/٢١٨- مادة (خمش)
[154]- ديوان البهاء- ص١٥٧
[155]- نفسه- ص١٥٧، ١٥٨
[156]- نفسه- ص١٩٨
[157]- نفسه- ص٣٠٣
[158]- نفسه- ص٣١٤
- قال هذه القصيدة وهو يمدح السلطان الصالح نجم الدين أيوب أخا السلطان الملك السعود صلاح الدين ابن الملك الكامل،
[159]وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة للهجرة- انظر ديوانه- ص٢٢٤
[160]- نفسه- ص٢٢٥
[161]- نفسه- ص٢٣٤
[162]- نفسه- ص٤٨
[163]- نفسه- ص٢٩٧